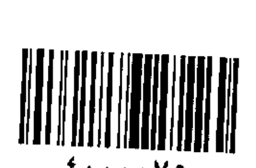
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية



الفتح العثماني لجزيرة رودس

٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م

إعداد الدكتور
خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني
أستاذ التاريخ الحديث المساعد

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

(ح) جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الوذيناني ، خلف بن دبلان بن خضر

الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م ـ مكة المكرمة .

١٣٦ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٦ ـ ٣٤٠ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

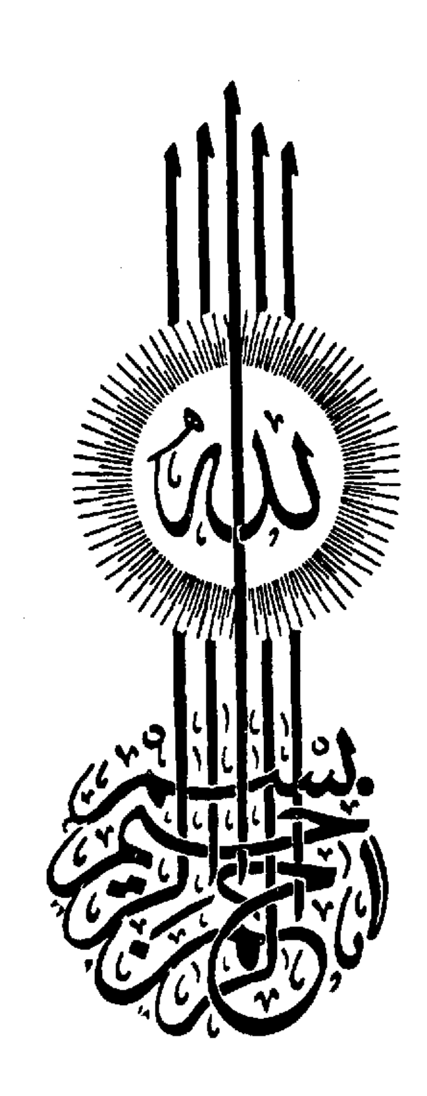
١ ـ جزيرة رودس ـ تاريخ ـ العصر العثماني ٣ ـ الدولة العثمانية

أ ـ العنوان

ديوي ٦٥٣,٠٩ ١٨ / ٢٠٤٨

رقم الايداع : ٢٠٤٨ / ١٨

ردمك : ٦ ـ ٣٤٠ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، فصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين .. وبعد .

فإن الفتح العثماني لجزيرة رودس كان من أهم الفتوح في التاريخ العثماني ، حيث كان فرسان القديس يوحنا يتمركزون في هذه الجزيرة التي تعد أهم نقطة في البحر الأبيض المتوسط، تواجه الدولة العثمانية ، فظلت شوكة في حلق الدولة ، ازعجتها بكثرة تعدياتها على الأسطول التجاري العثماني والحجاج المسافرين إلى الأراضي المقدسة، فسببت للتجار والحجاج الرعب حتى تعطل الحج من ذلك الطريق.

فزاد خطرها على الدولة واتسع حتى غزا قراصنتها ثغر الإسكندرية والشام فاحرجوا سلاطين الدولة العثمانية فترة من الزمن إلى أن قيض الله لها السلطان سليمان الأول الذي منّ الله عليه بالأجر العظيم بفتح هذه الجزيرة (جزيرة رودس) .

وقد كانت هناك محاولات سبقت هذا الفتح عربية وعثمانية فالخليفة معاوية بن أبي سفيان تمكن من فتحها في سنة ٥٢ هـ ، ولكن هذا الفتح لم يدم طويلاً فحينما توفى هذا الخليفة انسحب الجيش الأموى من الجزيرة في ظروف غامضة بناء على أمر الخليفة الجديد يزيد بن معاوية .

وكذلك كان الحال في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) الذي كاد جيشه أن يفتحها بقيادة مسيح باشا لولا وفاته ووقوع الخلاف من بعده بين ابنيه السلطان بايزيد الثاني والأمير جم حول السلطنة .

وعلى أثر ذلك الخلاف استدعى السلطان بايزيد الثاني الجيش المحاصر للجزيرة الذي كاد أن يفتحها لو وجد المساندة من السلطان الجديد ليحارب به أخيه جم ، فتأخر فتح هذه الجزيرة نصف قرن من الزمن كما بيناه في ثنايا البحث حتى جاء عهد السلطان سليمان الأول .

ولما كان عهد السلطان سليمان الأول بلغه أن سفن قراصنة رودس كثفت هجومها على سفن التجار والحجاج العثمانيين في البحر الأبيض ، وأوقعت بالكثير منهم ومن سفنهم ، فأسروا وقتلوا من بها . فتكدر خاطر السلطان من هذه الأخبار والحوادث، وخاصة بعد أن فتح والده السلطان سليم الأول الديار المصرية أصبح موقع هذه الجزيرة يتزايد خطره يوماً بعد يوم، وقد أعدّ السلطان سليم الأول أسطولاً قوياً لحرب القراصنة

وإخراجهم ولكن وفاته سبقت غزوته للجزيرة . غير أنه ترك لابنه السلطان سليمان اسطولاً قوياً .

وبعد وفاة السلطان سليم الأول استضعف القراصنة السلطان الجديد لصغر سنه وظنوا عدم قدرته على حربهم فزاد نشاطهم وأذاهم ضد الدولة العثمانية ورعاياهم وقطعوا طريق البحر الأبيض المؤدى إلى الولايات العثمانية في الشام وإلى مصر والأراضي المقدسة، فشغل عملهم هذا بال السلطان، كما شغل بال السلاطين من قبل، لذلك صمم على فتحها وضمها إلى الدولة العثمانية مهما كلفه الأمر نظراً لتعدى أهلها من جهة وللمحافظة على طريق التجارة والحج إلى الأماكن المقدسة من جهة ثانية . فأعدّ الأسطول الحربي وقام بنفسه مع الجيش البرى لحصار هذه الجزيرة واستعان بالجيش المصري على الفتح، فشدد عليها الحصار حتى استسلمت له فدخلها، دخول الفاتحين في سنة ٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م، فنال هو ومن معه شرف الفتح .

ومما لا شك فيه أن أعظم هدف من أهداف هذا الفتح العظيم لجزيرة رودس من قبل السلطان سليمان الأول (القانوني) هو الجهاد في سبيل الله لدحر كفار هذه الجزيرة وتخليص المسلمين من شرهم .

كما كان هذا الفتح سبباً في خلاص المسجونين المسلمين الذين قضو سنين طويلة من أعمارهم في السجن وتم انقاذهم على يديه ، فناله منهم الدعاء والأجر والثواب من الله ، والشرف والفخر أمام الناس .

وبهذا الفتح أيضاً تم فتح طريق الحج في البحر الأبيض المتوسط ، أمام السفن الإسلامية وظل هذا الفتح متواصلاً إلى يومنا هذا .

كما جعل السلطان سليمان جزيرة رودس داراً للإسلام بعد أن كانت داراً للحرب ، وأمن طريقها من المهالك والمخاطر ، التي كانت تتعرض لها السفن العثمانية الناقلة للحجاج والتجار .

وبهذا الفتح دفع السلطان سليمان ظلم هؤلاء الفرسان واقتلعهم من جذورهم وأبطل مكائدهم وقرصناتهم بعد أن عجز من سبقه من السلاطين عن حربهم ودفعهم لقوة جزيرتهم وضخامة حصونها وأسوارها حتى استطاع السلطان سليمان الأول قمعهم وطردهم إلى خارج الأراضي العثمانية كما سيأتى تفصيله .

وبهذا العمل البطولي نال السلطان ومن معه شرف الفتح وتخليص الولايات العثمانية من خطر هذه الفئة الناقمة على الإسلام والمسلمين منذ قرون طويلة .

أهمية موقع جزيرة رودس في البحر المتوسط وقوة حصونها وفرسانها

على الرغم من كثرة الجزر اليونانية المعروفة إلاّ أن جزيرة رودس حصلت على الشهرة لما تتمتع به من جمال الطبيعة ، ولما لها من تاريخ عريق ترك آثاره وبصماته واضحة عليها(١) .

وجزيرة رودس صغيرة ولكن خطرها كان عظيما على مسار الدولة العثمانية(٢) ، فهي أكبر الجزر اليونانية في جنوب شرق بحر إيجه ، إلاّ أن المسافة بين رودس وتركيا العثمانية قريبة جداً فلا يفصل بينهما وبين الساحل التركي سوى ممر مائي صغير . أما المسافة التي بينهما وبين الأراضي اليونانية فهي شاسعة مترامية الأطراف ، والناظر إليها لا يمكن أن يصدق بشيء إلاّ أنها جزء من الأراضي التركية العثمانية .

ويعد موقعها ذا أهمية خاصة حيث أنها نقطة الالتقاء بين أوروبا وآسيا وأفريقيا(٣) . لامتدادها من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وعلى مسافة عشرة أميال من الساحل الجنوبي لآسيا الصغري وبهذا الموقع أصبحت أقرب الجزر إلى الأراضي العثمانية(٤) .

يصف حبيب غزاله بك جزيرة رودس قائلاً : هذه الجزيرة أشهر جزائر بحر إيجه وهو الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، المنحصر بين آسيا

(١) ماجي بيمونت : رودس أثر حي لماض بعيد ، مجلة أهلاً وسهلاً ، السعودية ، السنة ١٨ ، العدد ١٢، جمادى الآخر ورجب ١٤١٥ هـ ، ديسمبر ١٩٩٤ م ، ص ١٨ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، مجلة البحث العلمي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، العدد ٢ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٦٩ .

(٣) ماجي بيمونت : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٤) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

الصغرى واليونان ويعرف ببحر الأرخبيل أو بحر إيجه ، وفي هذا البحر جزر كثيرة تنقسم بحسب وضعها الجغرافي إلى قسمين كبيرين أحدهما يشتمل على الجزائر الواقعة في الجانب الشرقي منه ويطلق على مجموعها اسم « اسپوراد » أى المتفرقة ، والثانى على جزائر الجانب الغربي وتسمى « سيكلاد » ومعناها الدائرة .

ورودس من جزائر القسم الشرقي المعروفة بالاسپوراد ، وهى مستطيلة الشكل كالسفينة ، وطولها (٧٧) كيلو متراً ويختلف عرضها باختلاف شكلها ، ويبلغ نحو (٣٧) كيلو متراً ، ومساحتها (١٤٠٤) كيلو مترات مربعة . وتخترقها طولاً سلسلة جبال متعرجة متشبعة أعلاها جبل « تايروس » الذي يصل ارتفاعه إلى (١٢١٦) متراً، ويليه في الارتفاع جبل « آكراميتى » وارتفاعه (٨٢٠) متراً، ثم جبل النّبى أيليّا وعلوه (٧٩٠) متراً .

وعلى العموم فإن هذه الجزيرة صخرية لكنها لا تخلو من أودية خصبة وعيون جارية عذبة ، وغابات طبيعية واسعة وبعض الجداول التي تصب في البحر[1] ، وهى معتدلة الأقليم ، صافية الجو ، نقية الهواء ، لا ينقطع عنها النسيم اللطيف لا صيفاً ولا شتاء ، وقد تغنّى الشعراء بمحاسن هذه الجزيرة ووصفوها بالمنيرة ، والجميلة ، ووردة كل الجزائر ، وقيل فيها « إن الصيف والشتاء فيها معتدلان فلا يُعرف فيها حر ولا برد » .

وقد وصفها المتأخرون بما يؤيد أقوال المتقدمين تحدث عنها (لامارتين)[2] وهو من أشعر شعراء فرنسا وأكبر كتابها فقال « إنه لم ير مثلها في صفاء جوها وخصب تربتها وإنها جمعت من محاسن الطبيعة ما لم يجتمع في غيرها »[3] .

---

(١) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس، جغرافيتها وتاريخها وآثارها، مصر ، مطبعة الاعتماد، ص ٩ ـ ١٠ .
(٢) ولد في ١٧٩٠ م وتوفى في ١٨٣٢ م .
، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ١٠ ، ح ١ .
(٣) حبيب غزاله بك : المرجع السابق ، ص ١٠ .
، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفايس ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٧٦ .

وقد بنى فيها الصليبيون قلعة لمهاجمة المسلمين ومضايقتهم ، أما تعيين وقت بناء هذه القلعة فمختلف فيه على الرغم من أن هذه القلعة من القلاع القديمة التي بناها قدماء أهل هذه الجزيرة في وسط البحر الأبيض المتوسط[١].

وهناك رواية تاريخية لصاحب مخطوط (الرسالة الفتحية الرادوسية) فحواها أن هذه القلعة مضى على بنائها (٢٢٠٠) سنة ، وفي رواية أخرى تشير إلى أن بناءها تم قبل (٣٠٠) سنة تقريبا من بناء قلعة القسطنطينية ، إلاّ أن بعض علماء اليهود ذكروا أن بناء هذه القلعة كان قبل (٣٠٠) سنة من مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ثم استطرد صاحب هذا المخطوط أن أحد المسلمين الذين سجنوا في هذه القلعة فترة من الزمن قال : « إن هذه القلعة لم تجعل عريضة جداً في زمان الكفرة الماضية بل جعلت عريضة جداً في زمن الكفرة الحاضرة[٢] ، وأنهم بنوا في داخل القلعة قلاعاً وفي مقابلها قلعة أخرى وملئوا ما بينهما بالرمل والتراب والأحجار الصغار والامدار ... أي لجعل هذه القلعة حصنا متينا » .

وقد أحاط أهل رودس بعض هذه القلاع من الخارج في الأماكن المهمة بخندقين عريضين عميقين من سقط فيهما بأمر هؤلاء الكفرة أو بالاضطرار دون علم فإنه لا يستطيع الخروج منه بلا معاونة ، بل يموت جزعاً وفزعاً[٣] .

ويواصل صاحب مخطوط (الرسالة الفتحية الرادوسية) وصف هذه القلعة فيقول : « إن القلعة عبارة عن حيطان مرتفعة ارتفاعها قريب من ارتفاع منارة

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٦٢٢ ، وتوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي ، ورقة ٢٧ ب .

(٢) أي فرسان القديس يوحنا الأورشليمي .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ٢٧ ب ، ٢٨ أ .

سلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران عريضة عرضها أكثر من عرض طرق القسطنطينية ، وفي منتهى الحيطان طول[1] أى في رؤوس الحيطان أبدان كالأصابع المنفرجة وليس لها سقف كسقف البيوت ، ولها [فى][2] كل الجوانب قلل عالية مستديرة الشكل بعضها مسقف وبعضها مكشوف وداخل هذه القلقل والأبدان مملوءة بالسموم القاتلة كالتوب[3]وغيره... وفي جوارهاخندق أوأكثر»[4].

وهذا التعريف أورده المؤلف مطلقا كما هو واضح وكما رآه ولم يلتزم فيه بوضع قياس لطول ارتفاع الجدار ، ولا بقياس لعرض جُدُر القلعة ، بل ترك ذلك للقارىء واجتهاده ليتخيل ارتفاع منارة محمد الفاتح وعرض طرق القسطنطينية، ليربطنا بهذا الماضى المجيد أزهى عصور الدولة العثمانية وأعظمها على الاطلاق .

وقد وصف هذه القلعة شيخ الإسلام محمد ابن أبى السرورالبكرى فقال: « قلعة رودس في جزيرة وسط البحر ما بين اسطنبول ومصر بناها الكفار حصنا حصينا واتخذوها ... لأخذ[5] المسلمين ، واتقنوها غاية الاتقان بحيث أنهم أسسوها في تخوم الأرض ، وعلّوا جدرانها ...، فصاروا ينظرون إلى السفاين التي تمر في البحر من مسافة بعيدة ، فيتأهبون لهم ويأخذونهم سواءً كانوا مسافرين أو مغادرين ، واتخذوها النصارى معبداً[6] يجهزون إليه

---

(١) في الأصل (طولا) والصواب (طول) وهو ما أثبت .

(٢) اضفتها ليستقيم الأسلوب .

(٣) كلمة تركية تعني المدفع وتكتب أحياناً بالطاء (طوب) ..

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ، ٢٥ ب ، ٢٦ أ .

(٥) في الأصل (المأخذ) والصواب (لأخذ) وهو ما أثبت .

(٦) في الأصل (معبد) والصواب (معبداً) وهو ما أثبت ، أى كانوا يتعبدون بالتبرع بأموالهم لدعم مقاتلى هذه الجزيرة : فرسان القديس يوحنا الأورشليمى لأنها تعد خطاً دفاعياً متقدما للصليبيين الأوربيين ضد المسلمين .

أموالهم لتصرف في استحكام (بناً) سورها[1] وجعلوا من أعلاه إلى أسفله من جميع جوانبه ثقوباً وضعوا فيها المدافع الكثيرة ترمى على من يقصدها من الخارج ، ولها باب حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول إلى الباب، وهيّأوا أغربة مشحونة بالسلاح ...، والرجال والمدافع ، فإذا أحسوا بأحد خرجوا إليه فينهبون ويأخذون ويأسرون ويجمعون الأموال »[2] .

وكان الغرض من بناء هذه القلعة هو حفظ الأموال والأولاد والنساء لهؤلاء الكفرة عند حربهم مع المسلمين أو غيرهم[3] .

ولم يكن فتح العثمانيين لهذه الجزيرة هو أول فتح إسلامي لها ، فقد سبق للمسلمين من قبل فتح هذه الجزيرة (رودس) وانتهت بدخولها في حوزة العرب المسلمين ، وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان[4] .

وكان معاوية بن أبي سفيان يغزى براً وبحراً فبعث بالقايد جنادة[5] بن أبي أمية الأزدى إلى رودس ففتحها عنوة[6] ، لنشر الإسلام فارتاحت هذه الجزيرة فترة الحكم الإسلامي من النهب والسلب والتخريب والتدمير كما حصل لها من قبل حين استيلاء الرومانيين عليها[7] .

(١) في الأصل (صورها) والصواب (سورها) وهو ما أثبت .

(٢) محمد ابن أبى السرور البكرى : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط ، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٦٢٣ وتوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي ، الورقة ١٤ ب .

ـ وهذا ما يوكده : النهراوني : « الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، طبع هذا الكتاب في مدينة غتنقه ، بمطبعة المدرسة المحروسة ، ١٢٧٥ هـ ، ص ٢١٠ .

ـ أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، القاهرة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .

(٣) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٢٧ ب .

(٤) حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ، ص ١٨ .

(٥) جناده أحد من رُوى عنه الحديث ولقى أبا بكر وعمر ومعاذ بن جبل ومات في سنة ٨٠ هـ .

(٦) انظر : الإمام أبى الحسن البلاذرى : فتوح البلدان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ص ٢٣٧ .

(٧) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ١٨ .

وكانت جزيرة رودس نقطة مهمة في البحر ، لذلك أمر معاوية بترحيل قوم من المسلمين للنزول بها لحفظها وكان ذلك في سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م . وجزيرة رودس من أخصب الجزائر ، وهي نحو (٦٠) ميلاً فيها الزيتون والكروم والثمار اليانعة والمياه العذبة .

أقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم ، ولما مات معاوية ابن أبى سفيان ، كتب يزيد بن معاوية إلى جنادة بن أبى أمية يأمره بهدم الحصن والعودة إليه[١] .

ولما خرجت الجزيرة من يد العرب عقب وفاة معاوية بن أبى سفيان دخلت مرة ثانية في حوزة دولة الروم (البيزنطية) .

وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ، قصدها أسطول كبير من مملكة جنوى ، فحاصر هذا الأسطول الجزيرة واستطاع فتحها بالقوة ، وبهذا الفتح عادت رودس إلى دولة الرومان ، وبقيت تابعة لها إلى أن استولى عليها فرسان القديس يوحنا (الشفالية) وفي عهدهم بلغت هذه الجزيرة ذروة مجدها وقوتها[٢].

وقد استوطن هؤلاء الفرسان تلك الجزيرة منذ عام ٩٠٧ هـ /١٣٠٩ م[٣]، وقيل في نهاية القرن الثالث عشر الميلادى[٤] .

وهؤلاء الفرسان طائفة من الرهبان عُرفوا بفرسان أورشليم أو فرسان القديس يوحنا الذين ذهبوا إلى فلسطين في القرن الحادي عشر الميلادي ، أثناء

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

(٢) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ١٨ ـ ١٩ .

(٣) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢ هـ ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .

ـ حبيب عزاله بك : المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٤) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧١ .

الحروب الصليبية التي أثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة الحجاج النصارى[1] .

ولهذا الغرض وقبل أن يستولي الصليبيون على القدس بنى بعض التجار الايطاليين في سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م داراً بالقرب من كنيسة القيامة وجعلوها مثوى لفقراء المسيحيين وحجاجهم ومستشفى لمرضاهم ، ولكن لما استولى الصليبيون على مدينة القدس أورشليم في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م ، منحو رهبان القدس يوحنا أرضا كبيرة ، فبنوا فيها كنيسة باسم القديس يوحنا ، وأنضم إليهم في ذلك الوقت عدد كبير من الصليبيين وتنقل هؤلاء الفرسان في بلاد شتى بين عكا وقبرص ورودس وكريت ومالطه[2] .

ولما استعاد السلطان صلاح الدين الأيوبي القدس الشريف في سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م . انتقلت هذه الطائفة إلى عكا ، وفيها عقدوا العزم على فتح جزيرة رودس ، لأن الحكم كان بها مختلاً إذ دبت فيها الفوضى وأصبحت ملجأً للقراصنة فحمل عليها الفرسان وفتحوها في عام ٩٠٧ هـ / ١٣٠٩ م كما سبق أن ذكرت بقيادة (فلك دى ڤيلاريه) فانتخب هذا القائد رئيساً أعظم وهو لقب من كان يتولى الحكم من أولئك الفرسان . وكانت هذه الجزيرة تابعة لدولة الرومان واتخذوها مركزاً لحرب الإسلام والمسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكبهم وأسر من بها ردحاً من الزمن[3] .

---

(١) اندري كلو : سليمان القانوني مثل من النماذج بين الهوية والحداثة ، تعريب البشير ، سلامة، بيروت ، دار الجيل ، ص ٨٢ .

ـ حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ١٨ .

(٢) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العليه العثمانية ، ص ١٤١ ، حاشية (٥) .

ـ اندرى كلو : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

ولما استقام لهم الأمر قاموا بتحصينها فأشادوا فيها الأسوار والقلاع وغيرها من المباني العظيمة[١] .

وكان من الطبيعي أن يحمل هؤلاء الفرسان في قلوبهم الكراهية للإسلام والمسلمين في آن واحد ، وكانت الحركة الصليبية في أوربا تحتضنهم ، والتي لم تمت جذوة نارها على الرغم من فشل الحملات الصليبية المتتالية على مصر وبلاد الشام ، حيث دعمت هذه الحركة الصليبية فرسان القديس يوحنا دعماً قوياً لم يعرف له التاريخ مثيلاً حتى جعلت من جزيرتهم الصغيرة مصدر رعب وفزع وإرهاب لسفن وأساطيل المسلمين في البحر الأبيض المتوسط[٢] .

حتى أنها في عهد « ديمون بيرانجه » وهو سادس الرؤوساء الذين تولوا الحكم على الجزيرة ، غزا الفرسان بأساطيلهم سواحل سوريا واستولوا على طرابلس وطرسوس واللاذقية . وفي ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م في عصر الملك أبو المحاسن جمال الدين الشركسي غزا المصريون بأسطول كبير وحاصروا جزيرة رودس مدة (٤٢) يوماً وكان ذلك في عهد رئيسهم « جان دى لاستيك » الحادى عشر من الرؤوساء الذين قاموا بالحكم فيها . فأبلي في الدفاع عنها بلاءً حسناً ولم يحصل هذا الأسطول على طايل فعاد إلى مصر[٣] .

وقد نجح فرسان القديس يوحنا في إظهار العداء الشديد للمسلمين وإيقاع الخساير الفادحة بهم حيث استطاعوا الاستيلاء على أعداد كبيرة من السفن التجارية التي كانت تجلب الحبوب والذهب والحرير والسفن التي كانت تحمل الحجاج إلى المدن المقدسة وتعود بهم إلى بلادهم ، فأصبحت هذه الجزيرة تهدد هيبة السلطان العثماني[٤] .

---

(١) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ١٩ .

(٢) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧١ .

(٣) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٤) - Stanford, Shaw, History, of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge University, Press, 1976, P 88.

ـ محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

فانهالت عليهم الأموال واستغلوها في تحصين وتحسين قلعة رودس جيداً مما جعلها تصمد أمام هجمات جيوش السلطان محمد الثاني (الفاتح) عندما أراد فتحها كما سيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى .

وهكذا بدأت تحصينات الجزيرة تقوى سنة بعد سنة وعاماً بعد عام حتى أصبحت حين تولى السلطان سليمان الأول (القانوني) الحكم سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م من أقوى المراكز الدفاعية المتقدمة في أوربا[١] . كما سيأتي في بابه .

ويحدثنا في هذا الصدد المؤرخ مرعى بن يوسف المقدسى عن قوة وبأس قلعة هذه الجزيرة بقوله : « وكان حصنها في غاية الاستحكام يعجز الواصف عنه »[٢] .

حتى أصبحت هذه الجزيرة كخنجر موجه إلى ظهر الدولة العثمانية[٣] .

ويصف المؤرخ رمضان العثماني وهو حجة معاصر ظلمهم فيقول « هؤلاء الظلمة مشهورة بالغلبة على المسلمين وغيرهم في البحر لأنه ليس لهم نظير في المعرفة لأحوال السفن » .

كما يتحدث عن مهارة كفار رودس في اتقان الرمى ودقة تصويبهم للهدف ومعرفة أحوال البحر وسير السفن حتى أنهم كانوا يمارون عليه فيقول : « حتى إن قصدوا ـ أى كفرة رودس ـ (ضرب)[٤] أعين الطيور والبراغيث في السماء والأرض ، لأنه ليس لهم صنعة وزراعة وخيول وتيوس وأغنام وأفراس كثيرة ، وجميع أوقاتهم وساعاتهم مصروفة في الليل والنهار إلى المرور في البحر

---

(١) - Stanford Shaw : Ibid., P 88.

(٢) مرعى بن يوسف المقدسى : قلايد العقيان في فضايل آل عثمان ، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ١٦٢٤ ، الورقة ١٦ أ .

(٣) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧٠ .

(٤) في الأصل (يضربون) والصواب (ضرب) وهو ما أثبت .

والمقاتلة مع المسلمين ، ولهذا (كان هؤلاء)[1] الظلمة أعلم من الغير في معرفة أحوال البحر والسفينة ، وهم ـ أى كفرة رودس ـ أغنياء وأقوياء من الغير من جهة المال والخدمة بوجهين أحدهما : أنهم صرفوا جميع أوقاتهم وساعاتهم في الليل والنهار في البحر إلى المقابلة والمقاتلة مع المؤمنين وغيرهم ولم يكونوا (مشغولين بما)[2] يحصلُ منه مالٌ كثير كالصنعة والزراعة وغيرها[3] .

ويعني أنه ليس لهم عمل إلاّ هذه الصنعة لأن المال تعهد لهم به بنو جلدهم المسيحيون الأوربيون لتوفيره لهم من أوربا بصفتهم الواجهة الصليبية في وجه الدولة العثمانية الإسلامية في ذلك الوقت لتشجيعهم على مواصلة الإرهاب وأعمال العنف والقرصنة ضد التجار والحجاج المسلمين[4] .

يقول صاحب مخطوط المنح الرحمانية في الدولة العثمانية « واتخذوها (معبداً)[5] يجهّزون أموالهم إليها لتصرف في استحكام بناء (سورها ...)[6] .

وبالإضافة إلى ما تقدم أمدتهم بعض الدول الأوربية كاسبانيا إلى ما كانوا يحتاجون إليه من الغذاء والكساء وسائر ما يؤمن لهم حياتهم وحاجاتهم اليومية الخاصة والعامة ليتفرغوا لواجباتهم الحربية التي تهدف إلى ازعاج أمن واستقرار تجار وحجاج المسلمين الذين يرتادون طرق البحر الأبيض المتوسط نكالاً بهم وتنفيساً لحقدهم الدفين على المسلمين لأنهم كانوا يمثلون الصليبية الحاقدة أصدق تمثيل وكانوا في الوقت نفسه رأس الحربة الموجهة إلى الإسلام

---

(١) في الأصل (كانت هذه) والصواب (مشغولين بما) وهو ما أثبت .

(٢) في الأصل (مشغولة إلى ما) والصواب (مشغولين بما) وهو ما أثبت .

(٣) مخطوط ، الورقة ، ١٦ أ ، ١٧ أ .

(٤) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧٢ .

(٥) في الأصل (معبد) والصواب (معبداً) وهو ما أثبت .

(٦) في الأصل (صورها) والصواب (سورها) وهو ما أثبت .

ـ انظر ابن أبي السرور البكري ، مخطوط ، الورقة ١٤ ب .

وهذا ما أكده صاحب مخطوط الرسالة الفتحية الرادوسية حين قال : « ولما كان حالهم مشهوراً في ربع المسكون بين جميع الكفرة[١] جعلوا[٢] كافة هذه القلعة معبداً أو كعبة ووقّفوا لهم (دكاكين) وقرى كثيرة[٣] ، وأرسلوا إليهم في كل سنة بل في كل شهر على ما سمعته ممن كان محبوساً فيه أموالاً غير متناهية ، وأقمشة كثيرة وآلات الحرب ... لحفظ القلعة من الاعتداء ، وكانوا[٤] أغنياء وأقوياء »[٥] .

ويتضح من ذلك أن جزيرتهم أصبحت من أقوى المدن والمراكز قوة في العالم[٦] .

ولا عجب فإنهم كانوا متفرغين لهذا العمل تماماً ويأخذون عليه أجراً ودعماً من دول أوربا التي كانت تمولهم وتمدهم وترسله إليهم تباعاً سنوياً بل شهرياً ليكونوا جنوداً مجنده وعلى أهبة الاستعداد طوال الوقت لاغلاق هذا البحر أمام الملاحة الإسلامية وحجاج الأراضي المقدسة بقوة السلاح ، وبالتالي يعطلون ركنا من أركان الإسلام تحدياً للدولة العثمانية التي كانت تمثل الإسلام في تلك الحقبة من الزمن ورغبة في إظهار ضعفها وإذلالها أمام رعاياها ، وفي المقابل إظهار قوة فرسان القديس يوحنا أمام أوربا التي تريد أن تصبح القوة العظمي في البحر الأبيض المتوسط لصد المسلمين عن ارتياده بسفنهم .

---

(١) فرسان رودس (فرسان القديس يوحنا) .

(٢) أي المسيحيون الأوربيون وبخاصة الاسبان .

(٣) أي حبسوا ريعها لصالح هؤلاء الفرسان كنظام الوقف الإسلامي على المؤسسات الدينية .

(٤) أي فرسان رودس بسبب هذا الدعم الأوربي الكبير .

(٥) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ١٧ أ .

(٦) L. S. Stavrianos, The Balkans Since 1453, Holt, Rinehart and Winston, London, P. 73. -

ويبين لنا المؤرخ رمضان مدى اجتهاد فرسان رودس للسيطرة على البحر المتوسط فيقول : « إن الكفرة الماضية[1] لما بنوا هذه القلعة في جوار البحر فرغوا عن الاشتغال إلى ما يحصل منه المأكولات والمشروبات والملبوسات وسائر المهمات ، واتخذوا (سفناً)[2] متعددةً ، وساروا (بهذه)[3] السفن ... في البحر في الليل والنهار ، في جميع الفُصول من الشرق إلى الغرب »[4] .

وهذا يعنى أنهم كانوا مرابطين على الدوام يجوبون البحر المتوسط عرضا وطولاً شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، طلباً للسفن المبحرة وخاصة السفن الإسلامية .

فلقد ترك الفرسان كل الأعمال المهنية وتخصصوا جميعاً في مهنة واحدة هي القرصنة وهي مهنة تُشفي غليلهم من المسلمين ، فقد كانوا يعتبرون وجودهم في رودس امتداداً للحرب الصليبية نظراً لوجودهم السابق في بيت المقدس[5] .

فإذا جابوا البحر بسفنهم فإنهم غالباً ما كانوا يظفرون ببعض السفن لأنهم أعلم الناس في معرفة أحوال السفن وقتالها معرفة تامة فإذا أسروا سفينة أو سفناً يأخذون ما بها من أموال ويسوقون رجالها إلى السجون غصبا .

أما المسجون فلا يمكن له الخلاص من سجنه أصلاً إلاّ إذا كان من الأثرياء في وطنه ، وغناؤه لابد أن يكون معروفاً لديهم لذلك كان يفدي نفسه بكثير من المال مقابل إطلاق سراحه .

---

(١) أي السالف ذكرهم وهم فرسان رودس .

(٢) في الأصل (سفن) والصواب (سفنا) وهو ما أثبت .

(٣) في الأصل (مع هذه) والصواب (بهذه) وهو ما أثبت .

(٤) الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ، ١٧ ب .

وهذا الوجه وما قبله يعتبر رافداً من روافد الموارد المالية التي ازدادوا بها ثراء .

أما إذا كان المسجون فقيراً في وطنه ، وفقره يكون معروفاً لدى كفرة رودس ، فلا يمكن له الخلاص من أيديهم مهما كان ومهما طال به الوقت بل كانوا يقومون بتكليفه يومياً بأعمال شاقة مثل حفر الخنادق والأنفاق وبعد فراغه من ذلك كان يكلف بدفع درهمين أو أكثر من الدراهم الفضية هذا إذا كان المسجون الفقير قادراً على العمل ويتمتع بصحة جيدة تعينه على تحصيل ما يفرضونه عليه من الدراهم ، وبعد ذلك يدخلونه في السجن ليلاً ، وهذا السجن لا يستطيع فيه المسجون الاستلقاء على ظهره ولا الإتكاء على جنبه والسبب في ذلك أن جميع أعضائه من الرأس إلى اخمص قدمه مقيداً بقيود من حديد كالأغلال والسلاسل[١] .

وهذا يبين لنا مدى استهانة فرسان القديس يوحنا حكام جزيرة رودس بالدولة العثمانية وبأساطيلها البحرية ، وكيف جعلوا جزيرة رودس حصناً منيعاً للمسيحية ينطلقون منه بأعمال القرصنة ضد السفن الإسلامية . فأصبحت رودس الجزيرة الصغيرة تهدد أمن وسلامة الدولة العثمانية وتمثل أعظم خصم لها في تلك المنطقة[٢] كما ذكرنا سالفا .

ومن خلال ما كتبه رمضان في رسالته الفتحية الرادوسية نتبين مدى محنة ومعاناة المسجونين داخل سجون قلعة رودس وما يلاقونه من أذى حيث يقول : « فيه[٣] براغيث وقمل كثيرة (تمتص)[٤] دم المحبوسين ، ويكون موضع

(٥) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧٣ .

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ١٨ أ ، ب .

(٢) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٦٩ .

- Stanford. Shaw, op. cit, P. 88.

(٣) أي في سجن رودس .

المص مجروحاً، ويحصل عقيب المصّ في هذا الموضع حكة شديدة لا يقدر المحبوس على حكه للعلة المذكورة[1] .

ويمضي جميع زمانه في النهار بالكسب والأعمال الشاقة ، وفي الليل بالحبس والقيد و التأذّي بإيذاء (الحيوانات)[2] المذكورة ، وفيه – أي الحبس – الخبيث أيضاً رائحة كريهة متعفنة لكونه مملوءاً بالقانورات ، ولا يكون ... بعض من كان محبوساً في (الحبس)[3] المذكور متحملاً لاستنشاق هذه الرائحة العفنة ويموت سريعاً »[4] .

والحقيقة أن هذه الجزيرة قد شغلت بال سلاطين الدولة العثمانية طويلاً والذين لم يهملوا شأنها ولكن قوة تحصيناتها ودفاعاتها وقفت حائلاً أمام كل من كان يفكر منهم في فتحها[5] .

وقد جعل هؤلاء الفرسان أنفسهم رأس الحربة المسيحية في أقصى الشرق الأوربي بصفتهم أكبر المدافعين عن القضية المسيحية في هذا الوقت ضد الإسلام والمسلمين في آسيا . لذلك لم يبرحوا ذلك الموقع منذ أيام الحروب الصليبية حتى اعتقد الناس أنهم سيبقون أبد الدهر[6] .

---

(٤) في الأصل (يمصون) والصواب (تمتص) وهو ما أثبت .

(١) أي أنه مقيدٌ بقيود من حديد من الرأس إلى القدم .

(٢) أي الحشرات .

(٣) في الأصل (المحبس) والصواب (الحبس) وهو ما أثبت .

(٤) الورقة ١٩ أ .

(٥) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ص ١٦٩ .

(٦) هوبرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، نقله إلى العربية زينب عصمة راشد وأحمد عبدالرحيم مصطفى ، راجعه أحمد عزت عبدالكريم ، الطبعة الثالثة ، مصر ، الناشر دار المعارف ، ١٩٦١ م ، ص ٩٠ .

المحاولات العثمانية التي سبقت السلطان سليمان الأول « القانوني » لفتح جزيرة رودس

لم يكد محمد الثاني (الفاتح) ينتهي من فتح القسطنطينية ، حتى شرع بجيوشه لفتح بلاد المورة ، وما شرع الفاتح في زحفه إليها حتى أسرع أهلها بقبول دفع الجزية ، فوافق السلطان ، ووجه جيشه إلى بلاد الصرب (يوغسلافيا الحالية) مما اضطر أميرها إلى عرض الصلح على الدولة فوافق الفاتح ، إلاّ أنه بعد سنتين اضطر الفاتح إلى إعادة فتحها بعد قتال دام سنتين ، وبذلك فقدت بلاد الصرب استقلالها[1] .

وفي سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م . أغار السلطان محمد الفاتح على بلاد البنادقة فخاف البنادقة على مدينتهم وابرموا الصلح معه[2] .

وبعد الصلح مع البنادقة وجهت الدولة العثمانية جيشها لفتح بعض المناطق اليونانية ، فتمكن الجيش العثماني في سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م من فتح بعض جزر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا . ثم أعطى محمد الفاتح أوامره إلى القائد البحري كدك أحمد باشا للتوجه باسطوله صوب مدينة اوترانتو الإيطالية لفتحها نظراً لأهميتها ، وقد نجح القائد كدك أحمد باشا في فتح مدينة اوترانتو بالقوة في الرابع من جمادى الثانية سنة ٨٨٥ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٤٨٠ م[3] ، وهذه المدينة المهمة هى ميناء إيطاليا على البحر المتوسط وقد حرص السلطان على الاستيلاء عليها لأسباب حربية وسياسية[4] .

---

(١) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٨٦ .

، محمد حرب : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) محمد حرب : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

ولكن بينما كان السلطان محمد الفاتح منهمكا في حروبه الطاحنة ضد التحالف الصليبي الصربي المجرى ثم التحالف الألباني الإيطالي ، كان فرسان القديس يوحنا يسيطرون على تسعة جزر قريبة من السواحل العثمانية ويتخذون من جزيرة رودس مقراً ومركزاً لقيادتهم وترسانةً لبناء سفنهم الحربية يصعّدون منها نشاطهم الحربي ضد الأسطول التجاري العثماني وسائر السفن الإسلامية حتى بلغت بهم الجرأة أنهم قاموا بمهاجمة المواقع العثمانية الساحلية[١] ، مستغلين انشغال السلطان محمد الفاتح في حربه مع المجر والصرب وإيطاليا وبلاد ألبانيا لنشر الإسلام فيها ، والسيطرة عليها .

وما كاد السلطان محمد الفاتح يقضي على خطر الحلف الصليبي المجري الصربي حتى واجهه خطرٌ صليبيٌ جديدٌ تمثل في تحالف ملك نابولي الإيطالي وزعيم بلاد ألبانيا اسكندر بك ، ولكن السلطان تمكن من هزيمة هذا الحلف الصليبي[٢] .

وفي الوقت الذي سيّر فيه السلطان محمد الفاتح الأسطول العثماني إلى إيطاليا كما سبق أن ذكرت أرسل عمارة بحرية أخرى إلى جزيرة رودس[٣] ، تمهيداً لفتحها حتى لا تكون شوكة في جانب ممتلكات دولته[٤] ، والتي أصبحت مركزاً لفرسان القديس يوحنا الأورشليمي[٥] .

(١) زياد أبو غنيمة : السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، الطبعة الثانية ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ١١٣ .

(٢) زياد أبو غنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين والأتراك ، الطبعة الثانية ، عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٨ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٦ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، الرياض ، منشورات الفاخرية ، ص ١٦٩ .

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

، محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

وقد كان هؤلاء الفرسان خليطاً من الأوربيين وأكثرهم من الفرنسيين والطليان والألمان الذين دفعهم حماسهم الديني الصليبي إلى الانخراط في صفوف حملة صليبية لقتال العثمانيين المسلمين[١] ، وأصبحوا قوة مستقلة لا يستهان بها[٢] .

ولم يلبث هؤلاء الفرسان أن قاموا بتحويل جزيرة رودس إلى خلية عمل نشطة لبناء السفن الحربية للقرصنة البحرية والفتك بالسفن الإسلامية في شرق البحر الأبيض المتوسط سواء كانت سفناً تجارية أو ناقلة لحجاج بيت الله الحرام . ونتيجة لتلك الأعمال القرصنية التي اقترفها هؤلاء الفرسان تضررت الدولة العثمانية في تجارتها كثيراً من الناحية الاقتصادية[٣] .

وقد اشتد أذى فرسان القديس يوحنا من منطلق حقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين فجمع السلطان الفاتح معلومات كافية عن هذه الجزيرة وعن مناعة حصونها[٤] . وتفرغهم لهذا العمل ، ودقة تصويبهم بالرمى ومعرفتهم بأحوال البحر كما سبق ذكره .

زاد من ذلك عندما قام خواجا اياس أحد كبار تجار الدولة العثمانية إلى اسطنبول سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٦٠ م متكدراً من قراصنة فرسان القديس يوحنا فنقل للسلطان محمد الفاتح ما فعله أهل رودس من قطع الطريق على أحد السفن التابعة للدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط وهم في طريقهم لأداء

(١) زياد أبو غنيمة : السلطان المجاهد .... ، ص ١١٣ .

(٢) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٦٩ .

(٣) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .

، زياد أبو غنيمة : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

فريضة الحج يقدر عددهم نحو ثلاثمائة نفس فقتلوهم قتلاً شنيعاً وأخذوا ما في سفينتهم . وكان ذلك سبباً من أسباب حماس السلطان لغزو جزيرة رودس[1] .

لذلك صمم الفاتح على فتح تلك الجزيرة مهما كلفه ذلك من أمر ومشقة ، لتأمين التجارة الإسلامية وضمان وصول الحجاج إلى الأراضي المقدسة والعودة إلى بلادهم ، لذلك أرسل عمارة بحرية تتكون من (١٦٠) مائة وستون سفينة حربية ، وجيش برى بلغ عدده (مائة ألف) مقاتل[2] تحت قيادة مسيح باشا[3] ، وهناك رواية تاريخية أخرى تضمنت أن عدد السفن الحربية العثمانية مائة وثمانين سفينة ساقها السلطان الفاتح[4] لفتح جزيرة رودس ، وقطع دابر فرسانها القراصنة في البحر الأبيض المتوسط لتأمين طريق الحجاج والتجار على حد سواء[5] .

ومما يجدر ذكره أنه لم يسبق أحد من سلاطين الدولة العثمانية على إرسال حملة لفتح جزيرة رودس قبل السلطان محمد الفاتح[6] .

---

(١) إبراهيم بن عمر البقاعي : إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، دراسة وتحقيق ، محمد سالم شديد العوفي ، الطبعة الأولى ، الناشر عربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، القسم الثالث ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٥١٨ .

، أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(٣) كان يدعى ميشطش أصله من أقارب قياصرة القسطنطينية ، اعتنق الدين الإسلامي بعد فتح القسطنطينية ، وله خدمات جليلة في خدمة الإسلام .

، انظر إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .

(٤) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .

، زياد أبو غنيمة : السلطان المجاهد ... ، ص ١١٤ .

(٥) إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ، ص ٦٧ .

(٦) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ، ١٦ أ .

وفي الوقت الذي كانت قوات محمد الفاتح تتقدم نحو هذه الجزيرة كان يرأس النظام فيها (بيير دوبوسون) الفرنساوي الأصل ، وكانت الحرب قائمة بينه وبين سلطان مصر وباي تونس ، فاجتهد رئيس الجزيرة لابرام الصلح بينه وبين كل منهما ليتفرغ في حربه القادمة مع الدولة العثمانية وصد هجومها(١) . وقد نجح في إبرام هذا الصلح .

وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصيناً قوياً منيعاً حتى عُدت حصنوها من أكثر المواقع قوة في العالم(٢) ، كما سبق ذكره ، لكن ذلك لم يمنع الدولة العثمانية من فرض الحصار عليها وضربها بالمدافع التي ظلت تطلق عليها القذائف الحجرية بقوة لهدم أسوارها غير أن سكانها كانوا يصلحون في الليل كل ما أسقطته المدافع بالنهار ، لذلك استمر حصارها ثلاثة أشهر حاول العثمانيون فيها الاستيلاء على أهم قلاعها قلعة القديس نيقولا(٣) . لكنها استعصت عليهم .

وقيل أن العثمانيين استولوا على بعض الأماكن المهمة من الجزيرة ، التي دافعت عن نفسها دفاعاً قوياً ، وكادت أن تسقط لولا جشع الانكشارية وسوء سياسة القائد مسيح باشا(٤) .

بيد أن العثمانيين استطاعوا بمدفعيتهم القوية إحداث ثغرات في أسوار الجزيرة عندما أمرهم القايد بالهجوم في ٢٠/٥/٨٨٥ هـ / ٢٨/٧/١٤٨٠م . ودخولها فعلاً ورُفع العلم العثماني على أسوارها وكادت أن تسقط ، لولا إعلان

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٦ .

(٢) - L. S. Stavrianos, The Balkans Since 1453, Holt, Rinehart and Winston, London, P. 73.

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٦ .

، محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص ٨٨ .

(٤) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٦٩ .

مسيح باشا قائد الأسطول العثماني في تلك اللحظة بعدم تعرض الغنائم لأنها ستحفظ للسلطان ، فاحبط ذلك عزائم المهاجمين ، الذين غضبوا من أمر القايد بمنعهم عن أخذ الغنائم ، فأحجموا ورفضوا مساعدة إخوانهم الذين اقتحموا الأسوار ودخلوا الجزيرة ، فانتهز أهل رودس هذا الخلل وحملوا على الفرق الأولى المهاجمة ، فاستطاعوا إخراجهم وردهم على أعقابهم ، وخسروا هذه الجولة .

وبعد حصار دام ثلاثة أشهر اضطر مسيح باشا إلى التقهقر ورفع الحصار والعودة . لهذا تأخر فتح رودس نصف قرن من الزمان[١] ، بعد أن أوشكت على السقوط في يد المسلمين في عهد محمد الفاتح .

وعقب وفاة السلطان محمد الفاتح عانت الدولة من شرور بعض الحروب الأهلية[٢] . التي كادت أن تعصف بها ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وبموته أخلى العثمانيون الميناء الإيطالي ترانتو الذي احتلوه ، أخلوه تماماً ، وانصرفوا كلياً عن تلك الناحية ، ولم يفكر خلفاء السلطان الفاتح من بعده في شيء من الأراضي الإيطالية[٣] .

وبموته تنفست إيطاليا الصعداء وافلتت من الخطر العثماني كما أفلتت أوربا بصفة عامة[٤] .

---

(١) محمد مصطفى صفوت : فتح القسطنطينية ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .
، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .
، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥١٨ .
، عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ، راجعه الكبتن أ . ج . سَفِدْج ، القاهرة ، الناشر مكتبة متبولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢٦ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار الملايين ، ١٩٧٤ م ، ص ٤٤٢ .

(٣) عمر الاسكندرى وآخرون : تاريخ مصر ، ٢٦ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .
، عمر الأسكندرى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

وأعتلى العرش ابنه بايزيد الثاني في الرابع من ربيع الأول ٨٨٦ هـ / ٣ مايو ١٤٨١ م والقوات العثمانية مازالت تحاصر جزيرة رودس وتنتظر المدد الذي طال انتظاره لانشغال بايزيد الثاني بخلافه مع أخيه جم[(١)] ، حول السلطة على البلاد ، مما حدا بالقايد العثماني مسيح باشا لفك الحصار والعودة بعد ثلاثة أشهر من بدء هذا الحصار ، ولم يستطع العثمانيون فتح جزيرة رودس إلاّ في عهد السلطان سليمان الأول (القانوني)[(٢)] ، كما سيأتى في بابه إن شاء الله تعالى .

ومما لاشك فيه أن هذه الخلافات الأسرية شلّت نشاط بايزيد الثاني عن استكمال فتوحات والده السابقة خاصة بعد أن أصبح الأمير جم محوراً لتآمر الدول المسيحية ضد الدولة العثمانية[(٣)] .

وبسبب تفاقم هذا الخلاف تأزّم الموقف بين السلطان بايزيد وأخيه جم ، ودارت المعارك بين الطرفين انتهت بهزيمة جم الذي لجأ إلى دولة المماليك في مصر[(٤)] ، ومن مصر اتجه جم إلى الحجاز حاجاً في سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م، وبعد أدائه مناسك الحج عاد إلى مصر حيث طلب المساعدة من قايتباى سلطان

---

(١) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٧٥ .

(٢) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، ١٩٨٨ م ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

، محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص ٨٨ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٧٤ .

(٤) النهروالي : الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٥٩ .

، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٤٣ .

، أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ م ، ص ٥٢ .

مصر ليواصل حروبه ضد أخيه ، وبعد حصوله على المساعدة الحربية غادر مصر ، ودخل الأراضي العثمانية وتوغل في الأناضول وحاصر كثيراً من قلاعها ، إلاّ أن السلطان بايزيد الثاني تمكن من فك هذا الحصار ، فأحسَّ جم بالخطر ، وقرر اللجوء إلى إيران ، لكنه عدل عن فكرته[١] ، ثم أرسل إلى أخيه السلطان بايزيد رسولاً يطلب منه أن يترك له حكم الأناضول لكن بايزيد رفض هذا المطلب ووعده بأن يمنحه موارد إمارة القرمان دون أن يتولى حكمها بشرط أن يعتزل الحياة السياسية ويعيش في القدس ، إلاّ أن جم أصر على أن يتولى حكم القرمان كما كان سابقاً في عهد والده[٢] .

وقيل أن جم لم يصغ إلى عرض أخيه بل طلب من حاكم رودس سفينة يعبر بها إلى الروملي ، فأرسلها إليه ، فلما ركبها سار به قبطان السفينة إلى رودس[٣] .

وهناك رواية ثالثة فحواها أن جم آثر الهرب إلى جزيرة رودس ، ليحتمي بفرسان القديس يوحنا الذين تلقوه بالترحاب ، وأنزلوه خير منزل ووعدوه بالتوسط لكسب الأنصار في أوربا ضد أخيه[٤] .

---

(١) النهروالي : الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٥٩ .
، أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، ص ٥٢ .
، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٢٠ .
، إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٧٠ .
(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .
، أحمد فؤاد متولى : المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٣) إبراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٧٠ .
(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٧٥ .
، محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني ، ط ٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٨ ، ص ٩٢ .

قال صاحب المنح الرحمانية : « أن جم فرّ إلى مصر وحج في زمن السلطان قايتباى المحمودى وعاد فاكرمه إكراماً عظيماً ثم عاد جم ثانياً وفرّ إلى بلاد النصارى »[1] . أي جزيرة رودس وذلك في السادس من جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ / ٢٣ يوليو سنة ١٤٨٢ م ، وقابله أهل الجزيرة بكل احترام[2] .

وقد كان وصول جم إلى الجزيرة حلقة من أحداث متتالية انقذت الجزيرة من غزو عثماني محتمل لاستكمال الفتح الذي بدأه السلطان الفاتح فتوقف السلطان بايزيد الثاني عن استكماله بسبب هذا الخلاف الأسرى الذي أدى إلى نشوب عدد من الحروب الأهلية كانت الدولة في غنى عنها ، فأصبح جم الورقة الرابحة التي تمسك بها الرودسيون وأعوانهم الأوربيون لاثارة المتاعب والمصاعب في وجه السلطان بايزيد الثاني .

وكذلك أصبح جم محوراً لتآمر الدول النصرانية ضد الدولة العثمانية ، كما أصبح في الوقت نفسه أداة للضغط والتهديد والتي كثيراً ما لوح بها الأوربيون في وجه السلطان العثماني بايزيد الثاني[3] .

وهذا ما جرى عندما أرسل السلطان بايزيد وفداً للتفاوض مع فرسان رودس في أمر أخيه ، حيث تمت هذه المفاوضات على شروط قاسية أملاها الفرسان على السلطان وتتلخص في ابقاء جم في الجزيرة تحت الإقامة الجبرية في مقابل أن يتعهد لهم السلطان بالشروط التالية وهي :

١ ـ أن لا يتعرض السلطان لجزيرة رودس بالغزو مدة حياته .

---

(١) محمد أبى السروري البكري : المنح الرحمانية ، الورقة ٧ أ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨١ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٤ .

٢ ـ أن يقوم السلطان بدفع مبلغ سنوى لفرسان القديس يوحنا وقدره خمس وأربعون (٤٥) ألف دوكا .

٣ ـ تتعهد الجزيرة أمام السلطان بعدم تسليمه لأى دولة أوربية[١] .

٤ ـ يتكفل فرسان القديس يوحنا بإبعاده عن جزيرة رودس لقربها من الدولة العثمانية .

فقبل كل منهم بشروط الآخر ثم لم يلبث أن نقل رئيس الفرسان جم إلى نيس جنوب فرنسا في القلاع التابعة لفرسان القديس يوحنا وذلك في سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م ، وهو لا يدرك أبعاد المؤامرة .

وكان رئيس فرسان القديس يوحنا يطلب الأموال ويقبضها من كل جانب حتى من زوجة جم المقيمة في مصر[٢] .

تلا ذلك تفاهم بين فرسان القديس يوحنا وبقية الدول المسيحية المهتمة بسلامة جم ، كوسيلة ناجحة للضغط به على السلطان بايزيد الثاني والتلويح له بالتهديد الدائم ، حتى لا يفكر في شن أي هجوم على جزيرة رودس أو على مقر البابوية في روما ، كما فعل والده (السلطان محمد الفاتح) وتم الاتفاق فيما بينهم على تسليم جم للبابا أو سنت الثامن الذي كان يعد حملة صليبية جديدة انتقاماً من المسلمين الذين توغلوا بفتوحاتهم في الأراضي المسيحية وقضوا على وجود الدولة البيزنطية[٣] ، وعند وصول جم إلى البابا قام بمخابرة السلطان بايزيد الثاني طالبا أن يحفظه عنده مقابل أن تدفع له الدولة العثمانية ما كانت تدفعه إلى فرسان القديس يوحنا فقبلت الدولة العثمانية ذلك[٤] .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨١ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .

(٣) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨١ .

ـ ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٤٣ .

(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٨١ .

وعلى الرغم من استقبال الأمير جم استقبالاً لائقاً وحافلاً من قبل البابا اوسنت الثامن سنة ٨٩٥ هـ / في ١٠ مارس سنة ١٤٨٩ م . فقد ظل أسيراً لديه في الفاتيكان حتى توفي هذا البابا وشغر منصبه بوفاته سنة ٨٩٨ هـ الموافق ٢٦ من يوليو سنة ١٤٩٢ م ، وخلفه البابا اسكندر السادس الذي واصل أسر الأمير جم ، كما استمر في قبض الأجر من السلطان بايزيد الثاني مقابل الحفاظ عليه تحت الإقامة الجبرية ، ومنعه من الهرب(١) .

ويقال أن البابا اسكندر السادس ، عرض على السلطان بايزيد الثاني أن يخلّصه من أخيه بقتله لو دفع إليه ثلثمائة ألف دوكاً(٢) .

وفي الوقت نفسه برز منافس جديد للبابوية هو شارل الثامن ملك فرنسا الذي أراد المزايدة باسم جم ، فنصب نفسه راعيا لراية الحركة الصليبية التي حملها أجداده ضد المسلمين لبضعة قرون خلت وأعلن أنه سيعيد أمجاد الصليبية بإعداد حملة صليبية يسير هو على رأسها إلى اسطنبول ، ويصحبه فيها الأمير جم ، على أن يساهم فيها من يشاء من ملوك وأمراء ، وفي مقدمة هذه الدول فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس ، والبابا والمجر ، وبولندا ، واسكتلندا(٣) .

ولم يلبث شارل الثامن أن سار على رأس حملة كبيرة لغزو الأراضي الإيطالية فاحتل روما ، وأسر الأمير جم وهو الهدف المطلوب ، وأرسله إلى فرنسا ، إلاّ أن جم مرض في الطريق وتوفي في نابولى في ١٨ من جمادى الأولى سنة ٩٠٠ هـ / ٤ فبراير ١٤٩٥ م . وأشيع أن موته كان من آثار سم

(١) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٨٢ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

دُس له تنفيذاً لأوامر أخيه بايزيد الثاني مقابل (ثلثمائة) ألف دوكا أعطيت للبابا اسكندر السادس[١] .

لكن صاحب المنح الرحمانية روى أن السلطان بايزيد الثاني أرسل أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فدخل على الأمير جم ، فتأنس به ، وسأله عن صنعته فقال حلاق ، فاستخدمه وأمره أن يحلق له رأسه فحلقها بموسى مسمومة فسرى السُّم سريعاً في رأسه وإلى جميع بدنه فمات إلى رحمة الله تعالى[٢] .

وقد أيد هذه الرواية الشيخ قطب الدين النهروالي فقال : « فأرسل إليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنّس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق له ، فحلق له رأسه بموس مسموم وهرب في الحال وأثّر السُّم في رأسه وسرى إلى بدنه فمات إلى رحمة الله تعالى »[٣] .

وهكذا فشلت خطة فرسان القديس يوحنا والبابا وبقية القوى الصليبية في أوربا إلاّ أن السلطان حافظ على شرطه الذي قطعه على نفسه ولم يفكر في الاحتكاك بفرسان القديس يوحنا أو البابا في روما بل آثر أن يعطيهم المبلغ السنوى المقرر ، وظل يدفع الفدية حتى بعد موت أخيه جم مجبرا[٤] ، إذ إنشغل بحروبه بعيداً عن رودس ولم يفكر في غزوها[٥] .

---

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٨٨ .
ـ ، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٢٠ .
ـ ، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .
(٢) محمد ابن أبي السرور البكرى : الورقة ٧ أ .
(٣) الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ١٥٩ .
(٤) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨١ .
- V. J. Parry : Ahistory the ottoman Empire Cambridge University Press ، CAMRGE Lonodon New York. Melbourne, P. 77.
(٥) - Ibid.
، محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

وعلى الرغم من أن قوة الدولة العثمانية في البحر ظلت في ازدياد مضطرد حتى تغلب اسطولها على الأسطول الأوربي في البحر فقد حدث بعد ذلك الفتور والضعف في مزاج الدولة ، فأهملت الحروب في البر والبحر ، بسبب اعتزال السلطان بايزيد الثاني أمور السلطنة نظراً لكبر سنه وإهمال الوكلاء وتسامحهم(١) .

والواقع أن فرسان القديس يوحنا قد ادركوا منذ الوهلة الأولى ومنذ حملة القائد مسيح باشا على رودس أن العثمانيين سيجددون محاولاتهم ضد جزيرة رودس حين تسنح لهم الفرصة ويتهيأ لهم ذلك ، مستغلين معاهدة بايزيد الثاني معهم حول أخيه جم ، فزادوا من قوة حصونهم وتسليحها حتى أصبحت قلعتهم من أقوى القلاع تحصيناً وقوة في العالم(٢) .

والحقيقة التي لا يمكن انكارها هي أن فرسان القديس يوحنا عاشوا بعد صدهم هجوم السلطان محمد الثاني على رودس وهم في خوف دائم من هجوم عثماني آخر مرتقب حتى تنازل السلطان بايزيد الثاني عن العرش لابنه سليم الأول في سنة ٩١٨ هـ / ٢٥ من إبريل سنة ١٥١٢ م(٣) . وقد راعى السلطان سليم الأول عند جلوسه على عرش السلطنة قاعدة تقديم الأهم على المهم من وجهة نظره ، فانشغل بحروبه مع إيران، وضم العراق والشام ومصر والحجاز ، فلم يتمكن من النظر في دعم الأسطول البحرى وبناء منشآته ، وإن كانت قوة الدولة العثمانية البحرية قد توقف نموها في مطلع عهد سليم الأول إلاّ أن

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ترجمة عبدالقادر أفندى الدنا، بيروت، طبع مطبعة جريدة بيروت ، ١٣٠٨ هـ ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) - V. J. Parry, Op. Cit, P. 77.

(٣) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٢ .

العثمانيين كانوا في حدة شبابهم لازال دم الغيرة والحمية يسري في عروقهم ، فكانوا يواصلون الغزو والجهاد في سبيل الله ، وكان أكثر قادة الدولة يجاهدون على سواحل الغرب مخافة أن يفقدوا فرصاً حربية ناجحة ، فأوقدوا نيران القتال على السواحل الأوربية . وهذا ما دفع السلطان سليم الأول إلى الاهتمام بدار الصناعة البحرية وتنظيم أمورها ، فعمرّ المخازن وأنشأ حياضاً للمياه أكثر من الحياض التي بنيت في عهد السلطان محمد الفاتح ، وكان يرمى من وراء ذلك العمل إلى تدارك ما فاته من تنمية وبناء الأسطول العثماني استعداداً للاستيلاء على جزر البحر الأبيض المتوسط كلها وعلى السواحل المطلة عليه يؤكد هذا حديثه الخاص لادريس بدليس ولبعض كتمة أسراره والذي جاء فيه : « أن البحر الأبيض المتوسط عبارة عن خليج واحد يمتد[1] إلى حد بوغاز سبته، فكيف يليق أن تجتمع فيه ملل مختلفة ثم أنهم لا يكونون تحت حكم الدولة العلية فعدم الاجتهاد في بلوغ هذه الغاية المقصودة[2] هو قصور الهمة المزرى بشأن الدولة وأني آليت على نفسي وعاهدتها إذا مدّ الله في عُمري أن احرمها الراحة والسكون ما لم أُنشيء الأساطيل الكافية لنيل هذا المرغوب ، واستولي على ثغور البحر الأبيض »[3] ، وبناء على ذلك القول شمّر السلطان عن ساعده وعزم في دار الصناعة البحرية على إنتاج السفن الحربية والإكثار منها لحاجة البلاد للقيام بهذه المهمة ، إلاّ أن نشوب الخلاف بين دولته ودولة المماليك ، لأسباب متعددة أهمها اتصالهم بالدولة الصفوية بايران والتحالف معها ضده ، لذلك رأى السلطان سليم الأول ضرورة ضم مصر والشام أولاً لضبط بلاد الشام ، فبذل الاستعدادات ، وكان له ما أراد حيث استولى على بلاد الشام ومصر ، ثم

---

(١) في الأصل (ليمتد) والصواب (يمتد) وهو ما أثبت .

(٢) أي السيطرة على البحر المتوسط .

(٣) أحمد جودت : تاريخ جودت ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

الحجاز ، وبعد أن تم له ضبط هذه البلاد عاد إلى دار السلطنة في اسطنبول ، لتنفيذ خطته وهي الاستيلاء كاملاً على البحر الأبيض المتوسط[1] .

والواقع أن السنوات التي أعقبت سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، قد شهدت من فرسان القديس يوحنا أعمال قرصنة مكثفة في البحر الأبيض المتوسط من النهب والسلب الذي لم يسبق لهما مثيل ضد السفن الإسلامية العثمانية ، وأصبح الحجاج الوافدون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج أو العمرة وكذلك التجار مهددين في كل لحظة عبر هذا الطريق يتوقعون هجوما مباغتا من الفرسان ينتهي بهم إلى القتل أو الأسر الذي يقودهم إلى سجن القلعة المؤبد[2].

(١) أحمد جودت : تاريخ جودت ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

ـ دور ولاة مصر والشام في الدفاع عن الثغور البحرية ، ومشروع السلطان سليم الأول لفتح رودس :

زاد نشاط الأوربيين وفرسان القديس يوحنا المعادي ضد الدولة العثمانية في البحر الأبيض منذ أن اتجه السلطان سليم الأول بقواته لضم المشرق العربي[١] .

لذلك اضطر السلطان سليم الأول إلى منع سفن المسلمين حجاجاً وتجاراً عن السفر عبر البحر الأبيض أثناء حكمه لئلا يكون سبباً في حدوث متاعب وكوارث عظيمة للدولة العثمانية[٢] ولسلامة الحجاج والتجار من قرصنة الفرسان .

ولكن الأخبار غير السّارة وصلت من الاسكندرية في شهر صفر سنة ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م . من بعض التجار البنادقة بأن عدداً من سفن أهل رودس هاجمت سفينة مصرية في البحر الأبيض تتجه إلى اسطنبول ، فقتلت من فيها[٣] .

وقيل عن ذلك أنه لما خرجت سفن رودس على السفينة المصرية حدثت مناوشات بين الطرفين فاستطاعت المدفعية الرودسية أن تصيب السفينة المصرية، فانحرفت عن مسارها وغرق من فيها من الرجال وما فيها من مال وعتاد ، وقيل لم تغرق وإنما سار بها الهواء نحو جزيرة كريت ، فخرج عليها

---

(١) عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٨٤ .

(٢) أحمد جودت : تاريخ جودت ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

(٣) محمد بن أحمد بن اياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، جـ ٥ ، ص ٢٩١ .

فرسان القديس يوحنا فأسروا من فيها جميعاً ، وسلبوا أموالهم وكل ما يملكون ثم أطلقوهم وتركوهم يواجهون مصيرهم إلاّ أنهم استطاعوا اللجوء إلى صاحب جزيرة كريت ، الذي أشفق عليهم ، فمكثوا عنده سبعة أيام حتى استردوا عافيتهم ومن ثم أرسلهم إلى اسطنبول بعد عطفه عليهم والله أعلم[1] .

وهكذا لما كثر فساد فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس أرسل السلطان سليم الأول إلى واليه في مصر خاير بك برسالة في جمادى الآخرة سنة ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م يحثه فيها على حفظ الثغور المصرية ، وتحصين قلاع الاسكندرية ، ودمياط بالمدافع والسفن الحربية والسلاح اللازم للدفاع عنها ، لذلك بادر خاير بك بتحصين القلاع وتدعيمها بتكوين كتيبة عسكرية من المماليك وأولاد الناس والعثمانيين الأقوياء ، إضافة إلى بعض الجنسيات الأخرى ، بلغ عددها حوالى مائة مقاتل ، دفع بهم إلى الاسكندرية في شهر ربيع الأول سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ، وأمرهم بأن يكونوا على يقظة دائمة احتراساً من فرسان القديس يوحنا ولضمان وصول السفن الإسلامية الناقلة للتجار والحجاج سالمة عبر هذا البحر سواء ما كان منها متجهاً إلى الولايات العثمانية أو إلى الأراضي المقدسة لإيصال الحجاج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء الحج والعمرة[2] .

غير أن سفن فرسان القديس يوحنا استطاعت الاستيلاء على خمس سفن مصرية في شهر جمادى الأولى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠م ، محملة بالأرز ، وأسرت من كان بها من الرجال فيما بين بيروت ودمياط[3] ، ثم واصل

---

(١) محمد بن أحمد بن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(٢) محمد بن أحمد بن اياس : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ ـ ٣٣٠ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٤ .

(٣) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، حققه محمد مصطفى ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م ، القسم الثاني ، ص ١٠٥ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

القراصنة سيرهم لحصار مدينة بيروت فتم لهم ذلك في شهر ذى القعدة سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ، باسطول حربي مكون من أربع عشرة سفينة لاقتحام مدينة بيروت فاصطدمت بالحامية ودارت معركة قوية بين القراصنة والمسلمين الذين استطاعوا أن يقتلوا منهم نحو أربعمائة جندى ، وخسر المسلمون حوالى مائة محارب(١) ، لكن القراصنة استطاعوا في نهاية المعركة التغلب على حامية بيروت ، فسيطروا عليها ودخلوها ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ولمّا بلغ خبرُ هذا الاحتلال جان بردى الغزالي والى الشام والمسئول من قبل السلطان عن حماية الثغور الشامية ، استنفر الهمّة ، وجيّش الجيوش الشامية وسيرّها بقيادة (داوا داره) إلى بيروت لطرد الغزاه القراصنة وذلك في أواخر شهر شوال سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م ، ولما وصل الجيش الشامي بيروت اشتبك مع قراصنة رودس فأوقع بهم هزيمة ساحقة ، وأسر منهم نحو ثلاثمائة مقاتل وغنم منهم مغانم كثيرة من سلاح وقماش وأرزاق ، كما استطاع الجيش الشامي الاستيلاء على ثلاث سفن حربية من أكبر وأهم المراكب الرودسية(٢) .

وروى ابن اياس أن جيش الشام أسر مع من أسر من مقاتلي رودس ثلاثة أمراء من أولاد ملوك الفرنج(٣) .

وعقب انتهاء هذه المعركة بالنصر المؤزر للمسلمين سافر والي الشام جان بردى الغزالي في شهر ذي القعدة سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ليتفقد الحصون والقلاع في مدينة بيروت وليطمئن على سلامتها وليعززها بالبناء وليزودها بالرجال والسلاح ، وليقوى حامياتها حتى لا تتعرض لهجوم آخر من قراصنة رودس ولما دخل بيروت تسلم فيء المعركة وشرع في تحقيق أهدافه(٤) .

---

(١) ابن طولون : مفاكهة الخلاّن ، القسم الثاني ، ص ١٢٢ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

ـ ، عبدالجواد صابر إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) ابن طولون : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

ولما سمع خاير بك بتلك الأخبار توجه في الحال إلى الاسكندرية واصطحب معه كبير مهندسي القلاع ، ناصر الدين محمد الحلبي ، وهناك قاما بتقوية الأبراج والقلاع وأشرفا على ترميم ما تهدم منها ، كما حث خاير بك قادة حامية الاسكندرية على اليقظة الدائمة خوفاً من الهجوم المفاجيء الذي قد يشنه عليهم قراصنة جزيرة رودس على المدينة في غفلة من أهلها[1] .

ومع ذلك فقد أصبح من الواضح ازدياد نشاط قراصنة رودس البحرية ضد السفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط وكذلك محاولاتهم الهجومية لغرض الاستيلاء على ما في الثغور العثمانية الواقعة على ساحل البحر الأبيض أو للهيمنة والسيطرة على النقاط المهمة في البحر الأبيض المتوسط كما مر بنا .

لذلك بدأ تفكير السلطان سليم الأول في غزو جزيرة رودس فأمر بتجهيز عمارة بحرية لفتحها بحراً مهما كلفه هذا الأمر وذلك للتخلص من هذه العقبة الكؤود ، ولكن الأجل المحتوم لم يمهله ريثما يتم مشروعه وهو فتح جزيرة رودس كما أراد ، فتوفى في مدينة أدرنه في التاسع من شوال سنة ٩٢٦ هـ / ٢٢ من سبتمبر ١٥٢٠ م[2] .

فلما توفى أخفى طبيبه الخاص خبر وفاته عن الحاشية ، ولم يبلغ به إلاّ الوزراء الذين اتفقوا على اخفاء نبأ وفاته حتى يحضر ولده سليمان الأول من اقليم صاروخان وذلك خوفاً من أن تثور الانكشارية كعادتها وتضطرب البلاد ويصعب السيطرة عليها ، إلاّ أن سليمان ابنه أسرع بالحضور إلى العاصمة عندما سمع الخبر ، فدخلها في ١٦ من شوال سنة ٩٢٦ هـ / ٢٩ من سبتمبر ١٥٢٠ م[3] .

---

(١) عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٥ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

، إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

، على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ولئن كان السلطان سليم لم يتمكن في آخر حياته من فتح رودس إلاّ أنه ترك للعثمانيين أسطولاً كبيراً كان ينوى فتح جزيرة رودس به لولا وفاته . وهذا الاسطول العثماني القوي استطاع به السلطان سليمان الأول أن يحقق فتوحاته العظيمة[1] . ومنها فتح جزيرة رودس .

وبوفاة السلطان سليم الأول طمع فرسان القديس يوحنا في السيطرة على البحر المتوسط والثغور العثمانية ، فزاد نشاطهم وعبثهم وانتشرت قرصناتهم في البحر الأبيض المتوسط بأخذ السفن الإسلامية التي تحمل التجار والحجاج إلى الأراضي المقدسة[2] .

وهذا الأمر ظهر جلياً عندما أرسل خاير بك والي مصر مندوبا إلى السلطان سليمان الأول في شهر ذي القعدة سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م للقيام بمراسم التعزية ، وفي الوقت نفسه ليقدم له الطاعة والولاء والتبريكات والتهنئة على توليه السلطنة من بعده فلم يستطع مندوب خاير بك إكمال رحلته إلى اسطنبول لوجود السفن الروديسية التي كانت تجوب مناطق البحر الأبيض لأخذ كل سفينة تمر فيه غصباً ، لذلك فضّل العودة خوفاً من هؤلاء القراصنة مسرعاً إلى ثغر الاسكندرية ، ثم أرسل إلى خاير بك من الاسكندرية يخبره بهذا الخبر[3] .

ولقد اهتم خاير بك بصناعة السفن الحربية منذ عصر السلطان سليم الأول ، وبعد هذه الأحداث أولاها عناية فائقة في ترسانة بولاق التي شهدت

---

(١) عبدالعزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٨٨٦ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٨٧ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٧٣ .

، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٥ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٧٣ .

الكثير من صنع هذه السفن التي لم تشهد مصر لها مثيلاً منذ فترة مضت وخاصة صناعة الأغربة وذلك منذ سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ، وكان خاير بك يستعرض كل مجموعة من السفن ينتهي منها مهندسو هذه الترسانة في مرسى بولاق فتؤدي أمامه المهارات القتالية فإذا رضي عنها أعطى أوامره بانضمامها إلى الأسطول في الاسكندرية أو أسطول السويس(١) .

وكان لهذه السفن الدور العظيم في حفظ الثغور المصرية حسب الأوامر السلطانية ومساعدة ومساندة السلطان سليمان الأول في فتح جزيرة رودس ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

---

(١) عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٥ .

- الموقف في أوربا والبحر المتوسط ومشروع السلطان سليمان الأول لفتح رودس :

تولى السلطان سليمان الأول (القانوني) العرش دون معارضة في ١٦ من شوال سنة ٩٢٦ هـ / ٢٩ من سبتمبر ١٥٢٠ م ، بعد وصوله مباشرة من صاروخان فقد كان سليمان القانوني محباً للنظام يخشى نقمة والده الذي كان ينظر إليه نظرة شك وريبة ذاكراً بذلك أحداثه مع أبيه ، فلمح ذلك السلطان سليمان ، واستطاع أن يكبت أو يوفر خصائصه وكفاياته البارزة حتى بلغت اكتمالها .

وبعد أن تولى الحكم انصرف إلى تحقيق أخطر ما تركه له أسلافه من مهام جسام ، وهي الاستيلاء على الحدود الشمالية ، وكان لويس الثاني ملك المجر قاصراً لم يبلغ سن الرشد ، ويحكم بلاد المجر منذ سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، وكان زعماء هذه البلاد غارقين في الخلافات الداخلية فيما بينهم فلم يحسنوا الدفاع عن حدودهم ، لذلك استغل العثمانيون بقيادة سلطانهم الجديد سليمان الأول هذه الأحداث وتمكنوا من احتلال بلغراد سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م [١] .

وكان يشاركهم في هذه الحرب عدد من مماليك مصر الجراكسة وعلى رأسهم الأمير الكبير قانصوه العادلى ، فاظهروا بطولات عظيمة نالت إعجاب السلطان سليمان الأول نفسه وكبار القادة العثمانيين معه أثناء الحرب ، فوصلت أخبار هذا النصر القاهرة فأمر بدق الطبول والبشائر بالقلعة ونودي في القاهرة باظهار الزينة فزينت القاهرة سبع ليالٍ وأرتجل الشعراء شعرهم في مدح السلطان سليمان الأول (القانوني)[٢] .

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٩٩ ، ٤١١ .

، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

ويرجع سبب اشتعال هذه الحرب إلى أن بلاد المجر كانت تدفع الجزية للدولة العثمانية ، ولما توفى السلطان سليم الأول أرسل السلطان الجديد سليمان الأول رسله لاستلام الأموال المقررة فأساء ملك المجر معاملتهم واستهزأ بهم ظناً منه أن السلطان سليمان لا يستطيع قتاله لصغر سنه ورفض أداء الجزية ، فكان هذا سبباً لاشعال هذه الحرب[١] .

وقد اكتفى السلطان بهذا النصر على حدوده الشمالية مع المجر ، رغبة في انفاذ الخطة التي كان والده يريد تنفيذها قبل وفاته والهادفة إلى فتح جزيرة رودس[٢] والتي أعدّ لها أسطولاً كبيراً في أواخر حكمه كان ينوى فتحها به[٣] .

وكانت جزيرة رودس في أيدى قراصنة رودس لأكثر من مائتي عام عندما تولى السلطان سليمان الأول حكم الدولة العثمانية ، وكذلك كان تحت حكمهم عدد من الجزر الصغيرة بالقرب منها ، وكان هؤلاء القراصنة أعضاء في تنظيم ديني يرجع في أصوله إلى عهد الحروب الصليبية الأولى على بيت المقدس[٤] .

وقد حاول السلطان محمد الفاتح فتح هذه الجزيرة ، ولكن وفاته حالت دون فتحها ، كما ذكر آنفاً ، وبعد ذلك بأربعين عاماً كان لسليمان أكثر من داع للإطاحة بسلطة هذا الكهنوت في البحر المتوسط ، وكان هؤلاء الرهبان من الفرسان المحاربين قد استقروا في قاعدة عسكرية منيعة بجزيرة رودس ، ينطلقون منها للقرصنة البحرية في أرجاء البحر المتوسط وسواحل آسيا الصغرى والشام ومصر للنهب والسلب ، وبهذا العمل أصبحوا يهددون الطرق

(١) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى وآخرون ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥١ .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٨٧ .

(٤) - Aantony Bridge : Suleiman the Magnificent Scourge of Heaven, Granada - London, P. 51.

البحرية الموصلة ما بين اسطنبول ورودس والتي يمر فيها الجزء الأكبر من المبادلات التجارية بين مصر وسائر بلدان الدولة العثمانية .

فأصبحت جميع السفن التجارية العثمانية معرضة لنهب تجاراتها وأسر ملاّحيها ، وكذلك سفن الحجاج المسلمين التي تمخر عباب البحر المتوسط متجهة إلى أقرب ميناء يفضي بهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج أو العمرة فكانت تتعرض في أحيان كثيرة إلى هجوم قراصنة رودس حيث يتعرض ركابها للقتل أو الأسر ، وفي المقابل كان التجار والمسافرون النصارى يجدون الحماية والعون والأمان عند هؤلاء الفرسان والذين مضوا في غيهم حتى أنهم ساعدوا جان بردى الغزالي والى الشام عندما ثار على السلطان سليمان الأول[1] .

هؤلاء الفرسان قوي بأسهم وزاد نشاطهم وفسادهم وأرتفعت رؤوسهم بعد موت السلطان سليم الأول ، وفرحوا بموته فرحاً عظيماً وطمعوا في أخذ بلاد المسلمين المطلة على البحر المتوسط وحدثتهم نفوسهم الصليبية الحاقدة بما لا قدرة لهم عليه ، وظنوا أن السلطان سليمان بن السلطان سليم الأول غير قادر على حربهم لصغر سنه[2] .

لذلك قرر السلطان سليمان وضع حدٍ لوجود هذه القوة المتمركزة على بعد عشرة أميال فقط من ساحل آسيا الصغرى ، والتي تعد بمثابة تهديد مستمر للدولة العثمانية وولاياتها المطلة على البحر الأبيض المتوسط وكان يحفزه على ذلك وزيره الثاني مصطفى باشا[3] ، الذي راقت له فكرة غزو رودس لحماية الملاحة الإسلامية في البحر المتوسط .

---

(١) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٢ .

(٢) ابن زنبل أحمد الرمال : آخرة المماليك ، واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم العثماني ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ص ١٦٥ .

(٣) أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثماني ، استانبول ، كتاب خانه تفيض ، ١٣٢٧ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٣ .

، اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٢ .

وفي سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ بلغ السلطان سليمان أن سفن قراصنة رودس كثفت هجومها على سفن التجارة والحجاج العثمانية في البحر الأبيض المتوسط وأوقعت بالكثير منها واستطاع قراصنتها الاستيلاء على بعض تلك السفن ، وأسروا وقتلوا من بها ، فتكدر خاطر السلطان من هذه الأخبار والحوادث .

ولمّا كان موقع الجزيرة يتزايد خطره يوماً بعد يوم ، وخاصة بعد فتح الديار المصرية ، فقد صمّم السلطان على فتحها وضمها إلى الدولة العثمانية مهما كلفه الأمر ، نظراً لتعدى أهلها من جهة وللمحافظة على طريق التجارة والحج إلى الأراضي المقدسة من جهة أخرى(١) .

هذا بالإضافة إلى موقع هذه الجزيرة وكونها مركزاً متقدماً للمسيحيين في بحر عثماني ، ونظراً لتهديد فرسان هذه الجزيرة للسلطان في ممتلكاته واعتداءاتهم المتكررة والمستمرة على السفن التجارية وسفن الحجاج المسلمين ، ولتدعيم حكومة رودس المستمر للجهود الصليبية البحرية في مناطق البحر المتوسط(٢) ، كل ذلك حمل السلطان سليمان على عاتقه أمر تعزيز البحرية العثمانية في البحر المتوسط وتسهيل المواصلات بين مصر واسطنبول ، وتأمين طرق السفر إلى الحرمين الشريفين(٣) .

---

(١) نبيل عبدالحى رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، دار الثقافة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٧١ .

- Stanford. Show: History of Ottoman Empire, and Modern Turkey, Cambridge - Unversity, Press, 1976, P. 88.

(٢) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .

، نبيل عبدالحى رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ، ص ٧١ .

(٣) نبيل عبدالحى رضوان : المرجع السابق ، ص ٧١ .

- Stanford Show : Op. Cit, P. 88.

هذه الظروف السياسية والاستراتيجية هي التي اجبرت السلطان سليمان الأول على فتح جـزيرة رودس[1]، وتحقيقاً لأمنية والده السلطان سليم كما أشرنا من قبل ، فقد شرع في الاستعداد براً وبحراً لفتح هذه الجزيرة ، التي لم يتمكن السلطان محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين اسطنبول ومصر من جهة البحر حتى لا يكون للأوروبيين المسيحيين مركز حصين في المياه القريبة من سواحل بلاده تلجأ إليه سفن الدول المعادية للدولة وقت الحرب[2].

وقـد أيقن السلطان سليـمـان الأول في بادىء الأمر أن أية دولة أوربية مسيحية لن تتخلى عن نصرة الفرسان في ذلك الوقت أكثر من أىّ وقت مضى ، بل أن أوربا أصبحت مهيأة للتضحية بشتى التضحيات المتاحة ، ولو برجل واحد وسفينة واحدة للدفاع عن تلك الجزيرة ، وكان بإمكان فرانسوا الأول[3] ملك فرنسا في تلك الفترة أن يهبّ وحده إلى مساعدة الفرسان لو قدر على ذلك، ولكن ظروفه كانت غير مواتية ومهيأة .

وفي سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م انتخب (فيليب دى ليل آدم) رئيساً أكبر لهيئة الفرسان ، وقابل فرانسوا ملك فرنسا قبل مغادرته فرنسا إلى الجزيرة ،

---

(١) نبيل عبدالحى رضوان : القوة العثمانية بين البر والبحر ، ص ٧١ .

- Stanford Show : Ibid, P. 88.

(٢) محمد فريك بك : تاريخ الدولة العلية .

(٣) فرانسوا : ولد هذا الملك سنة ١٤٩٤ م وتولى الملك سنة ١٥١٥ م وكانت حروبه بسبب ادعائه أن له حقوقا على ولاية ميلان بايطاليا من جهة جدته ، فسار عقب توليه الملك إلى ميلان لفتحها ، وفتحها بعد أن انتصر على السويسريين في واقعة مارينيان . ثم انتخب شارلكان (شارل الخامس) ملك أسبانيا امبراطوراً لألمانيا وما يتبعها بعد موت مكسمليان جده لأبيه في سنة ١٥٢٠ م ، ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا ملك فرنسا بسبب ادعاء كل منهما الأحقية في ولاية ميلان ، وكانت الدائرة فيها على فرنسا فانتصر عليها شارلكان عدة مرات وأخيراً في بافيا سنة ١٥٢٥ حيث أخذ فرانسوا أسير وسيق إلى أسبانيا ، ولم يفرج عنه إلاّ بعد أن أمضى معاهدة بكل ما طلبه منه شارلكان . ولما خرج من السجن لم يعمل بما تعهد به بل رجع إلى المحاربة واستمرت الحرب بينهما بدون انقطاع تقريباً إلى سنة ١٥٤٤ م وفيها تصالحا على أن تكون ولاية ميلان لدوك أورليان ثاني أولاد فرنسوا ملك فرنسا وتوفى بعد ذلك بثلاث سنوات في ١٥٤٧ م ، واشتهر هذا الملك بالتعصب الديني واضطهاد البروتستانت .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٣ ، ج ١ .

ووعده الملك باعانته ، وإذن فوراً لأحد قواده البحريين (برزوان) بالسفر في عدد من المراكب إلى جزيرة رودس لمساعدتها في حربها ضد الدولة العثمانية ، غير أن الحرب اندلعت ضد شارلكان[1] ملك النمسا وأسبانيا بعد أسابيع قليلة فحول فرانسو الأول ملك فرنسا الأسطول الموعود لنجدة الفرسان إلى مقاومة أعدائه الأسبان .

وهكذا انقطع أمل (فيليب دى ليل آدم) في المساعدة من ملك فرنسا بسبب تلك الحرب[2] ، لذلك أسرع السلطان في استعداده لغزو الجزيرة التي عجز عن فتحها أسلافه[3] ، مستغلاً اشتعال الحروب واحتدام الخلافات بين ملوك أوربا حول بعض الأطماع التي صرفتهم عن مساعدة فرسان القديس

---

(١) شارل الخامس : ملك النمسا وملك أسبانيا والبلاد المنخفضة (هولندا) والمانيا ، وحاكما لجزء كبير من ايطاليا الجنوبية ويطلق عليه امبراطور الامبراطورية (المقدسة) وكانت أملاكه محيطة بمملكة فرنسا من جميع الجهات ما عدا جهة البحر ، ولد هذا الملك سنة ١٥٠٠ م وورث ملك أسبانيا عن والدته جان ابنة فردينان وايزابلا من ملوك أسبانيا اللذين أخرج المسلمون في أيامهم من الأندلس وأنتخب أميراً لالمانيا بعد موت جده لأبيه الامبراطور مكسمليان ، وقضى أيامه في محاربة فرنسوا الأول كما مر بنا . في ترجمته هذا الملك . وبعد موت فرنسوا الأول رجع إلى محاربة الفرنساويين وحاصر مدينة متس الشهيرة ولم يتمكن من فتحها سنة ١٥٥٢ م ، وحارب خير الدين بربرسا أمير البحر العثماني حول الجزائر ولم يفلح في الوصول إليها واضطهد البروتستانت إلاّ أنه أخيراً في سنة ١٥٤٧ م منحهم الحرية بعد أن حاربوه وانتصروا عليه ، وفي سنة ١٥٥٦ م سئم الحياة فتنازل عن أسبانيا لأبنه فيليب الثاني ، وعن المانيا وما بها لأخيه فردينان واعتزل في أحد الأديرة حتى توفي سنة ١٥٥٨ م .

ـ انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ج ١ .

ـ اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٧٤ .

(٢) اندرى كلو : المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

يوحنا المحتلين لجزيرة رودس ، هذا الخلاف أدى إلى نشوب حرب بين ملك أسبانيا والنمسا شارلكان، وملك فرنسا فرنسوا الأول[1] حول دوقية ميلان[2] .

وكذلك كان البابا (لاون) العاشر منشغلاً بمحاربة ومقاومة الراهب الألماني (لوثر) مؤسس مذهب البروتستانت المخالف للعقيدة الكاثوليكية بالمانيا، كما أن بلاد المجر كانت هي الأخرى مضطربة داخلياً بسبب عدم اتفاق أمرائها وأعيانها كما سبق لصغر سن ملكها ، كل هذه الأسباب مجتمعة حملت السلطان على انتهاز هذه الفرصة لفتح هذه الجزيرة[3] . وانقطعت بهذا المساعدات الأوربية عن جزيرة رودس وانشغلت كل دولة في نفسها وأصبحت تلهث وراء أطماعها . وتيقن « فيليب دى ليل آدم » أنه لا يمكن له أن ينتظر شيئاً من ملك فرنسا ، وكذلك من شرلكان (شارل الخامس) المشغول هو الآخر بمحاربة فرنسوا الأول إضافة إلى الاضطرابات الداخلية في المانيا التي فرضتها عليه ثورة « لوثر » كما اسلفنا .

فأصبح السلطان بعد ذلك لا يخشى أي شيء اللهمّ إلاّ البنادقة التي تملك وحدها أسطولاً قادراً على المقاومة العثمانية ، ولكن بينما كانت ورشات العمل في القرن الذهبي تشرع في بناء الأسطول العثماني لشروع فتح الجزيرة ، كان سفير البندقية (ماركو ممو) في اسطنبول يمضى مع الحكومة العثمانية معاهدة من ثلاثين بنداً ، بمقتضاه أصبحت لتجارة البنادقة فوائد جمة .

---

(١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبدالوهاب الجابي ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧٤ .
، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٣ .

(٢) يوسف آصاف : المصدر السابق ، ص ٧٣ .
، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .
، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

وفي هذه المعاهدة تعهد البنادقة للسلطان العثماني دفع عشرة آلاف وخمسمائة دوكا مقابل احتلالهم لجزيرة قبرص وبعض الجزر الأخرى ، وكانت البندقية مستعدة لدفع كل شيء مقابل حماية تجارتها في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، لا تريد الدخول في أي حرب .

وهكذا تركت أوربا النصرانية فرسان رودس يواجهون مصيرهم في الحرب وحدهم مع السلطان سليمان الأول[١] .

وفي الوقت نفسه واجهت السلطان سليمان الأول عدة مشاكل أهمها مشكلتان .

أولهما : ثورة (جان بردى الغزالي) الذي استغل وفاة السلطان سليم الأول وأراد أن يستقل بالشام ، ولكن السلطان سليمان استطاع انهاء هذه الثورة في صالحه[٢] .

ثانيهما : جزيرة رودس التي اشغلت بال وفكر السلطان سليمان لاستكمال فتحها، وتعد هذه الجزيرة من أخطر المعاقل النصرانية في البحر الأبيض والمياه العثمانية حيث استطاع قراصنة رودس الاستيلاء على أعداد كبيرة من السفن الإسلامية التي تجلب حبوب الحنطة والذهب من الولايات العربية الجديدة وتنقل الحجاج إلى الأماكن الإسلامية المقدسة « مكة المكرمة والمدينة المنورة » ، فأصبحت تلك الجزيرة تهدد هيبة السلطان ومركزه الاجتماعي والمالي ، لذلك وجب على السلطان ابطال تأثير رودس قبل أن يتقدم إلى قلب أوربا[٣] .

---

(١) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٤ .

(٢) - Stan Ford. Show : Op. Cit, P. 88

(٣) نبيل عبدالحى رضوان : جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٤٤ .

، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٨٩ .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٥ .

ففرسان القديس يوحنا في رودس كانت بمثابة الشوكة في حلق السلطنة العثمانية ، وقذى في عينها ، فأصبح الاستيلاء على هذه الجزيرة حتماً تمليه الضرورة التي تمليها الحاجة الملحة إلى حسن سير المواصلات بين اسطنبول وولايات الدولة العثمانية على سواحل بلاد الشام والبلاد المصرية ، وهذا لا يتحقق إلاّ بهيمنة الأسطول العثماني على البحر الأبيض وهو ما كان يريده السلطان سليمان الأول ويسعى إليه[1] .

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، القاهرة ، مطبعة الواعظ ، مصر ، ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م ، جـ ٢ ، ص ٧٠ .

ـ الخطة والتحركات الحربية العثمانية لفتح رودس :

اقتضت شفقة السلطان سليمان الأول عدم مفاجأة أهالي رودس بالهجوم وهذا عكس تصرفاتهم وعاداتهم ، لذلك أرسل إلى رئيس رودس (فيليب دى ليل آدم) قبل الشروع في غزوها كتابا يعرض فيه إخلاء الجزيرة والإنسحاب منها بكل من معه من النصارى الذين يفضلون المغادرة على البقاء ، متعهداً بعدم التعرض لهم ولأموالهم مع حرية المعتقدات(١) .

وقد جاء في هذه الرسالة : « إنه بأمر منا نحيطكم علما أنه قررنا أن نتسلم هذه الجزيرة لما ينالنا من الضّرر والأعمال المشينة في كل يوم . وإذا سلمتم عن طواعيه هذه القلعة إلى جلالتنا فإننا نقسم بالله خالق الأرض والسماء ... ونقسم بمرسل نبينا محمد أن كل من على هذه الجزيرة صغاراً وكباراً لا خوف ولا أذى ولا ضرر من قبل جلالتنا . وإذا أنتم أصررتم على عدم الاستسلام فأننا نقلب عليكم القلعة رأساً على عقب ونعذبكم ونقتلكم شرّ قتلة . كما فعلنا مع كثيرين ، وكونوا على يقين من ذلك »(٢) .

ولما وصل كتاب السلطان سليمان الأول إلى فرسان القديس يوحنا وبه الخيارات التي سطّرها وعلموا بخبر استعدادات السلطان سليمان القانوني لفتح الجزيرة وما عزم عليه ، خافوا سوء العاقبة ، فبادر رئيس القلعة (فيليب دى ليل آدم) بإرسال مبعوثين من قبله لمقابلة السلطان في اسطنبول ليعرضا عليه دفع الجزية سنويا ، وكان فيليب يريد من وراء ذلك صرف نظر السلطان عن الحرب ليتمكن من الكتابة إلى أوربا حول مساعدته ومساندة الفرسان في حربهم المصيرية مع الدولة العثمانية ، إلاّ أن السلطان عرف نواياهم فصمم على الفتح وطلب من المبعوثين إبلاغ رئيس الفرسان لضرورة إخلاء الجزيرة ،

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .

(٢) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ح ١٣ ، ص ٨٤ .

وأن السلطان قد يسمح لهم بأخذ كافة أموالهم وكل ما يريدون حمله على أن يغادروا الجزيرة في وقت معين[1] . لذلك رفض رئيس الفرسان هذا العرض واستعدّ للحرب ضد الدولة[2] . دفاعاً عن جزيرة رودس التي مثلت مجد فرسان القديس يوحنا في البحر المتوسط ردحاً من الزمن .

وإزاء تلك الأحداث لم يتردد السلطان سليمان الأول في المضي بقدم ثابتة في تنفيذ خطته الحربية ، وتوجيه حملته إلى رودس ، وآثر أن يكون هو بنفسه على رأس هذه الحملة[3] . وكان يهدف بهذا الفتح إلى تأمين طريق الحج البحرى وإطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين طال أمد عذابهم في سجون رودس وهذا كله بإذن الله تعالى[4] .

ويعنى ذلك أن الله تعالى استجاب دعاء هؤلاء المساجين من المسلمين الذين كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً ليخلصهم من هذه المحنة ، وقد جاء خلاصهم على يد هذا السلطان الشجاع المسلم الذي كان يتألم كثيراً لحالهم ويعمل لأجل خلاصهم مما هم فيه . فلقد إهتم السلطان سليمان القانوني اهتماماً عظيماً لتسهيل حركة الحج في البحر بعد أن ظل هذا الطريق البحري شبه مغلق فترة غير قليلة من الزمن واحجم المسلمون عن ارتياده لخوفهم من هذه الطغمة الظالمة .

لهذا أصدر السلطان أوامره إلى الوزير الثاني مصطفى باشا لاتمام الإستعدادات الحربية والتوجه بالجيوش إلى فتح جزيرة رودس ، عندئذ امتثل

(١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .

(٣) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٥ .

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، الورقة ٢٥ أ .
، أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثماني ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

مصطفى باشا لأوامر السلطان ، وجمع الجند وأخبرهم بنية السلطان ، وأمرهم بجمع كل ما يحتاجون إليه في حربهم مع أهل رودس ، من أسلحة وذخيرة وتموين غذائي وماء عذب ، فباشر جنده جمع كل ما لابد منه للسفر في البحر[١] .

وفي العاشر من رجب سنة ٩٢٨ هـ / الموافق ١٨ من يونيو ١٥٢٢ م . أقلع الأسطول العثماني المؤلف من ثلاثمائة سفينة حربية كبيرة وأربعمائة سفينة لنقل الذخاير وقطع المدفعية الكبيرة ، وقد حمل هذا الأسطول ثمانية آلاف جندى وقايد من خيرة أبطال آل عثمان ، وألفى جندى وقايد من الأبطال المسلمين من غير العثمانيين[٢] . أى أن الأسطول العثماني بلغ عدد سفنه سبعمائة سفينة حربية وناقلة كانت تحمل الأجهزة الحربية والعساكر الذين بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل بقيادة مصطفى باشا ، وهذا ما ينبغى أن يكون عليه الأسطول العثماني لإرهاب القراصنة في رودس[٣] .

وقد أقلع هذا الأسطول من بحر مرمره والدردنيل بقيادة مصطفى باشا قاصداً فتح جزيرة رودس متوكلاً على الله تعالى ، طالبا منه العون ، وبعد ثلاثة أيام من السفر المتواصل، وصل إلى كاليبولى (غاليبولى) أحد الثغور العثمانية ،

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ، ٤٣ أ ، ب .
(٢) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ـ ٧١ .
، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٧٤ .
، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .
، اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٤ .
، حبيب غزالة بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .
، عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٢ ، ص ٨٨٧ .
(٣) أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثماني ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

ثم إلى جزيرة ساقز[١] وهو في طريقه إلى جزيرة رودس واستقبلهم حاكمها[٢] وأعيان الجزيرة والمسلمون الموجودون فيها والذين أخذوا يدعون الله تعالى بأن يمكّن الله السلطان سليمان الأول وجنده من الفتح العظيم وهو فتح جزيرة رودس ، ومكثوا في تلك الجزيرة سبعة أيام للتزود ببعض المؤن أو المستلزمات الحربية ، وبعدها واصلوا السير حتى نزلوا بموضع تكثر فيه الأنهار والمياه الجارية العذبة يسمى بالتركى (سوسم آده سى) وهم في طريقهم إلى الجزيرة ، فمكثوا فيه يوماً واحداً ليتزودوا منه بالماء العذب ، وقد كان بالقرب من ذلك الموقع ثلاث قلاع حربية وهى (كَاسِتَنْكُويْ) (وَبَدْيَه) (وَدُنْبَه كى) تابعه لجزيرة رودس تتعلق بحمايتها ، أراد الأسطول العثماني الاستيلاء عليها فلما أحسّ أهلها بذلك استطاعوا دخول هذه القلاع ووصد أبوابها ، والصعود إلى أعلاها ، ثم باشروا ضرب الأسطول العثماني منها بالمدافع ، ولمّا كانت الأوامر السلطانية لدى القائد مصطفى باشا هو فتح جزيرة رودس نفسها وليس الجزر التابعة لها، لذلك أهمل الأسطول الرد على هذه المناوشات ، وانسحب في الحال متجها إلى قلعة رودس[٣] .

---

(١) هي أحد الجزر المهمة التي تطل على بحر إيجه ، أما الاسم التي اشتهرت به هذه الجزيرة فهو (كيو) Chio . وقد سماها الأتراك (ساقز) والعرب (جزيرة المصطكى) لكثرته بها ، وقد دخلت تحت الطاعة العثمانية في سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٥ م .

، انظر ــ حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) كان حكام هذه الجزيرة يتبعون اليونان من أهل الذمه لكنهم استقبلوا جيش السلطان بكل حفاوة وإكرام ، وأظهروا له الطاعة والولاء ، وباشروا ضيافة هذه الحملة بما لذّ وطاب من الطعام وبكل ما يحتاجون إليه .

، انظر ــ رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، الورقة ٤٥ أ ، ب .

، بجوى إبراهيم أفندى : تاريخ بجوى ، اسطنبول ، طبعت عن طريق أوفست عن الطباعة القديمة ، الناشر مكتبة اندرون ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ٤٣ أ ب ، ٤٦ أ ب .

، بجوى إبراهيم أفندى : المرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

وفي اليـوم الرابع من شـعبـان سنة ٩٢٨ هـ / ٢٦ من يونيـو ١٥٢٢ م ، وصل الأسطول العثماني إلى جزيرة رودس ، أى بعد ثلاثة أسابيع من مغادرته اسطنبول(١) ، وقام قائد الحملة مصطفى باشا بسد الطريق بالسفن الحربية بأمر السلطان الذي كان يتوقع وصول حملة صليبية من البحر أو مدد ودعم لفرسان القديس يوحنا ، وقد استطاع العثمانيون إحكام السيطرة على أعداء البحر ، ولضمان أو تأكيد عدم مرور أى سفينة أو حملة صليبية من البحر إلى الجزيرة لمساعدتها ، فقد تنادى الجنود العثمانيون في سفنهم يوصي بعضهم بعضاً على الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الإسلام والمسلمين قراصنة جزيرة رودس(٢) .

لذلك تركوا النوم وأصبحوا متيقظين لأداء هذه المهمة لمراقبة الأعداء من كل جانب يعملون بأمر سلطانهم وقائدهم ، فاغلقوا البحر لمنع دخول السفن المعادية ، وأحكموا الحصار براً وبحراً من جهة الأعداء على هذه الجزيرة(٣) .

ثم سار القائد العثماني مصطفى باشا ومرّ من مضيق رودس ، ورسا باسطوله أمام فيلانوفا ـ وهى من أقاليم الجزيرة ـ فاستعدت حاميتها للحرب ، فعمد الباشا للمخادعة وكان مشهوراً بالدهاء والمهارة في الفنون الحربية ، فترك مائتين سفينة حربية في فيلانوفا لحماية الأسطول العثماني(٤) .

---

(١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٢٤ .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٦ .

- V. J. Parry, Op. Cit., 80.

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٤٧ أ ب .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ، ٤٨ أ ب .

(٤) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .

وبعد ذلك تحرك مصطفى باشا وسائر القادة بالحملة وتركوا الأسطول المكلف بالحماية[١] . عندما اطمأن على أحكامه والسيطرة على البحر .

فأخذت السفن العثمانية المكلفة آنفاً بالحماية بالمرور عدة مرات ذهاباً وإياباً في البحر أمام قلعة رودس الحصينة لبعث الرعب في قلوب المدافعين عنها من الفرسان ، والذين أطلقوا عليهم القنابل كالمطر لإغراق السفن العثمانية ، ولكنها لم تصب بشيء منها ، وكان الهدف من وراء ذلك هو اشغال أهل رودس حتى تخرج هذه الحملة إلى بر الأمان لاستكمال الفتح[٢] .

فلمّا مرت السفن العثمانية من أمام حصون القراصنة يريد بها قائدها مصطفى باشا مرسا أكوز بورنو[٣] ، أطلقت عليها المدافع الرودسية من القلاع، فأصابت بعضاً منها فرأى مصطفى باشا أنه إذا رسا أسطوله في اوكوز بورنو، أصبح عرضة لقذائف المدافع الكبيرة ، فسار بأسطوله حتى وقف في مرفأ مرمريس[٤] ويسميها الأفرنج مارمارتسا[٥] ، وهم يهللون ويكبرون لهذا النصر .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، الورقة ٤٨ أ .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقة السابقة .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٦ .

- V. J. Parry, Op. Cit., 80.

(٣) أي أنف الثور ، ويقع في غربي جزيرة رودس .

انظر : أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثماني ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

، القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٤) وهي مدينة في بر الأناضول تجاه رودس .

انظر : حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .

(٥) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

وقد استغرق وصول هذه الحملة أثنين وعشرين يوماً من اسطنبول إلى هذا الموضع بجوار البحر ، الذين يرون منه رودس ولا تصل إليهم مدافع قراصنة رودس المدمرة ، ويقال لهذا الموقع « لمان »[1] بالتركي[2] .

فانكمش المدافعون خلف أسوار القلعة وانتهز المسلمون الفرصة وأقاموا جسراً بالأخشاب والأوتاد[3] ، من المرسى أو الميناء (لمان) التي رست فيه السفن العثمانية إلى رأس البر ، ليكون طريقاً ممهداً قابلاً لسير الإنسان والحيوان ، ثم خرج منه الجنود وكافة الذخائر والآلات والمؤن الغذائية ومدافع الحصار إلى البر اللازمة لهدم القلعة دون مشقة تذكر ، ولم يستغرق هذا العمل البطولي سوى أيام قليلة[4] ، حتى شرع القائد مصطفى باشا في ترتيب نظام الحصار حول مدينة رودس[5] . وعين المواقع القابلة لوضع المدافع والآلات الهدّامة للحصون ، ثم المواضع التي ترمى منها المدافع ، وكذلك بناء المخابىء والمتاريس والقلاع الحربية لحفظ الذخاير الحربية للجنود الذين يرمون من هذه المدافع في هذه المواقع ، فكان هذا العمل من أهم الأعمال التي كان يصعب تحديدها أو تعيينها وغير ممكنة من جانب البر أو ساحل البحر ، فقد اجتمع القائد مصطفى باشا بمن معه من قادة الجيش والمستشارين .

---

(١) أي المرسا .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٤٨ أ ب .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٦ .

- V. J. Parry, Op. Cit., P. 80.

(٣) محمد كمال الدسوقي : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٤٩ أ .

، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

(٥) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

، أحمد رشيد : خريطة لي ورسملي مكمل تاريخ عثماني ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

وبعد دراسة مستفيضة ودقيقة لهذا الموضوع تم تعيين المواقع المهمة الصالحة لوضع الآلات ، فوضعوا فيها هذه المعدات الحربية وآلات الحرب والمدافع وذخائر الحرب اللازمة لهدم قلعة رودس ، وبنوا حصونا حربية لتكون مأوى للجنود ولحفظ المدافع والآلات والذخاير ، وبعد أن نفذ القائد مصطفى باشا خطة السلطان في وضع كافة الترتيبات لحصار الجزيرة بالمدافع والسفن من البر والبحر ، أخذ هو وقواده ينتظرون قدوم السلطان سليمان الأول إليهم[1] . لبدء الفتح .

وقبل مغادرة السلطان سليمان الأول أسطوله إلى جزيرة رودس عين فرهاد باشا للمحافظة على حدود الدولة العثمانية من جهة الأناضول ، خوفاً من الشاه إسماعيل ملك العجم ، الذي كان دائم التربص للغارة على حدود الدولة فقام هذا القائد بالمهمة المنوطة به خير قيام في أثناء غياب السلطان .

ومن جهة أخرى أعطى السلطان أوامره إلى واليه على الديار المصرية خاير بك بتجهيز أسطول في دار الصناعة بالسويس كافٍ للمحافظة على سواحل البحر الأحمر من تسلط الأعداء لتأمين طريق الهند[2] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٥٠ أ ب ، ٥١ أ .

(٢) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٥ .

- بدء المعارك الحربية بين العثمانيين وفرسان القديس في رودس ، ودور مصر فيها :

لم يلبث السلطان سليمان الأول القانوني أن خرج من عاصمته اسطنبول، بعد أن أمن حدودها في ٢١ من رجب سنة ٩٢٨ هـ / ١٥ من يونيو ١٥٢٢ م ، على رأس جيش عظيم براً قاصداً به ميناء مرمريس الواقعة على ساحل الأناضول تجاه جزيرة رودس ليقوم بإمداد الأسطول العثماني والمقاتلين العثمانيين وليشرف على سير المعارك بنفسه ويقف على حركتها ونتائجها[١] ، وقد رافقه في هذه الحملة أركان جيشه ، وحرسه الخاص ، وجنوده المظفرة ، والعلماء ، الذين اجتهدوا في رفع الروح المعنوية ودعوا له بالنصر والتوفيق ، فأعطى إشارة بدء فتح الجزيرة متوكلاً على الله وطالبا منه العون والاستعانة[٢]. وكان الجيش الذي يقوده مؤلفاً من مائة ألف مقاتل سار بهم على مقربة من السواحل الغربية لآسيا الصغرى بعد أن اتفق مع قائده الأميرال مصطفى باشا على أن يتقابل الجيش البرى والأسطول في خليج مرمريس (Marmarris)[٣].

وكان حاكم جزيرة رودس يومئذ (فيليب دى ليل آدم) كما سبق ذكره ، وهو آخر من تولى أمر الجزيرة من هؤلاء الفرسان[٤] .

وبعد أن سار السلطان بجيشه ثمانية عشر يوماً من السير المتواصل وصل إلى مدينة كوتاهيه[٥] وعسكر بها يومين ، استقبله خلالها قاسم باشا أمير أمراء الأناضول كما استقبله عدد من الأمراء الآخرين[٦] .

---

(١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .
، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .
(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ٥٢ ، أ ب .
(٣) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٤) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٥) تقع في غرب الأناضول إلى الجنوب من باليقيصر وأسكى شهر .
، انظر محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٦٩ ، ح ، (٣) .
(٦) رمضان الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ٥٢ أ ب .
، بجوى إبراهيم أفندى : تاريخ بجوى ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

وفي اليوم الثالث عقد السلطان سليمان الأول القانوني ، اجتماعاً موسعاً في مدينة كوتاهيه مع أركان جيشه حضره قادة العسكر ، وأهل المناصب الرفيعة ، وفي أثناء ذلك الاجتماع تحدث كل منهم وأدلى برأيه عن كيفية محاربة الأعداء وقهرهم ، وناقش السلطان رأيهم حول تلك المهمة ، ثم حثهم على الاستبسال وقهر الأعداء ورفع الظلم عن رعايا الدولة المسجونين في جزيرة رودس . ثم أمر السلطان العسكر بالتقيد بالنظام وحسن المعاملة ، وعدم التعرض في أثناء الطريق لمزارع الرعايا وكرومهم وثمارها وعدم التعرض لأولادهم وأزواجهم[1] . وألاّ يتجاوز كل عسكرى المهمة المكلف بها ، ومن خالف ذلك الأمر يكون عرضة إلى عزل السلطان وضربه وإهانته .

وبعد اجتماع مدينة كوتاهيه مباشرة أرسل السلطان على جناح السرعة فرقة من الجيش بحراً بقيادة آغا باشا ومعه بعض رجال السلطان إلى جزيرة رودس من طرقٍ متعددة لتسبق السلطان ، ولتمسح المنطقة مسحاً أمنياً حتى ميناء مرمريس ، ولضمان وصول السلطان إلى منطقة (آده) في جزيرة رودس ، ومن ناحية أخرى فقد كلف السلطان قادة هذه الفرقة بمهام أخرى لمساعدة الوزير مصطفى باشا .

غادرت هذه الحملة كوتاهية إلى جزيرة رودس حسب ما خطّط لأفرادها من طرق متعددة عيّنها لهم السلطان ، وقد التزموا بالنظام وعدم التجاوز على مزارع الناس وكرومهم وثمارها ، ووصلوا بعد عدة أيام إلى ميناء مرمريس ، ومنه ركبوا إلى جزيرة رودس حتى نزلوا منطقة (آده) ليشتغل كل منهم في المهمة التي كلف بها من قبل السلطان ، إضافة إلى معاونة قائد الحملة العثماني مصطفى باشا[2] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ٥٢ أ ب ، ٥٣ ب ، ٥٤ ب .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٦ .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقات ٥٤ ب ، ٥٥ أ ب ، ٥٦ أ ب .

ثم تقدم السلطان سليمان الأول من كوتاهية بمن بقى معه من القوات إلى ايلجه ، وفيها أمر القائد أحمد باشا بالانفصال عنه والتوجه بقوة بحرية أخرى إلى رودس للتعاون والتشاور مع مصطفى باشا في الفتح ، لذلك غادر القائد أحمد باشا ايلجة متجها بقواته إلى ميناء مرمريس ثم إلى جزيرة رودس ، حيث التحق بالقوات العثمانية التي تتمركز في منطقة آده ، والتي تحاصر قلعة رودس منذ وصولها مع الوزير مصطفى باشا إلى أرض رودس[١] .

وأخيراً سار السلطان سليمان بنفسه بما تبقى معه من القوات والآلات الحربية من ايلجه إلى ميناء مرمريس ثم إلى جزيرة رودس في تسعة أيام أولها التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٨ هـ / الموافق للثامن والعشرين من يوليو ١٥٢٢ م[٢] ، لأنه لم يكتف بالعدد الذي أرسله من جيوشه لقتال فرسان القديس يوحنا في رودس ، وكان يريد أن يشرف بنفسه على ذلك الفتح[٣] ، كما هي عادة سلاطين آل عثمان في حروبهم منذ تكوين دولتهم حيث كان السلطان العثماني يخرج على رأس جيشه ليقود المعركة بنفسه ، وكان ذلك سراً من أسرار انتصاراتهم المجيدة[٤] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية ، ورقة ٥٦ ب .
، محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ٢٨٦ .
(٢) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ٦٠ أ .
، محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .
، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧١ .
(٣) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ٦٠ أ .
، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ، ص ٨٧ .
، محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٧ .
(٤) يلماز اوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

سبق أن أشرنا أن السلطان سليمان الأول قبل مغادرته اسطنبول إلى جزيرة رودس أعطى أوامره إلى واليه على مصر خاير بك بتجهيز أسطول من دار الصناعة بالسويس للمحافظة على سواحل البحر الأحمر خوفاً من تسلط الأعداء ولتأمين طريق الهند ، كما تم تعيين فرهاد باشا من قبل للمحافظة على الحدود العثمانية الصفوية من ناحية الأناضول(١) ، ليتفرغ في حربه ضد قراصنة رودس للقضاء عليهم وينهي بذلك معقلاً من معاقل الصليبية داخل ممتلكات الدولة العثمانية كما سبق الحديث عنه .

تلا ذلك وقبل أن يقلع السلطان بقواته من خليج مرمريس أن بعث إلى واليه في مصر خاير بك في أواخر شهر رجب سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م . يطلب منه إرسال حملة مصرية عاجلة من العثمانيين والمماليك والجراكسة لتنضم إلى قواته المحاصرة لرودس(٢) .

فأصدر خاير بك أمره بناء على طلب السلطان سليمان القانوني بإعداد السفن الحربية التي تم صنعها في بولاق ، كما سبق أن ذكرت ، وتهيئتها أمام الاسكندرية(٣) لحين اختيار عسكر الحملة وأمرائها ، وتم تعيين الأمير قايتباى الرمضاني الداودار لاختيار هؤلاء الجنود وأمرائهم ، فاختار من أمراء المماليك الجراكسة ثلاثة وأربعين أميراً منهم امراء طبلخانات(٤) وأمراء عشرات(٥) ، كما

---

(١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٥ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك على مصر ، ص ٨٧ .

(٤) الطبلخانات : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق ... وتكون صحبة السلطان في الأسفار والحروب . انظر : أبو العباس أحمد علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والارشاد ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ج ٤ ، ص ١٥ .
– محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص ٢٢٨ .

(٥) أمراء العشرات : تسمى وظيفتهم امريات عشرة ، ليس لهم الحق في دق الطبول تشريفاً لهم ، وكان لكل أمير من هؤلاء عشرة مماليك خاصة به ، وقد يكون تحت امرته أكثر كعشرين مثلاً فيسمون امراء العشرينات أو أقل مثل خمسة فيسمون معظمهم من أبناء الأمراء المقدمين أو الطبلخانات تقديراً لخدمات آبائهم .
انظر : القلقشندي : المصدر السابق نفسه ، – محمد قنديل البقلي : المرجع ص ٤٤ .

تولى اختيار جند المماليك الجراكسة والسباهية، والانكشارية، والكمولية، في عدة أيام بدقة متناهية حتى بلغ عددهم ألفاً وخمسمائةجندي على النحوالتالي:

- ألف جندي مملوكي جركسي .　　　- خمسمائة جندي عثماني .

إضافة إلى أمراء المماليك الجراكسة ، ولما تمت عملية الاختيار أسند خاير بك قيادة الجند العثماني من (السباهية ، والانكشارية ، والكمولية) إلى الأمير جانم الحمزاوي ، كما أسند قيادة مماليك الجراكسة إلى الأمير قايتباي الرمضاني الداودار ، وكان ذلك كله في أواخر شهر رجب سنة ٩٢٨ هـ / (يونيو / ١٥٥٢ م)(١) .

وفي هذا التاريخ انتهى خاير بك من إعداد المواد الغذائية اللازمة لجند هذه الحملة ، وغير ذلك من الأرزاق والمؤن التي لابد منها ، كما انتهى من إعداد الأسلحة كالمدافع والبنادق والذخاير المهمة ، وشحنها في السفن الراسية في ميناء الاسكندرية ، كما سلم خاير بك إلى الأمير قايتباي قائد الحملة أربعين ألف دينار ، مرتبات للجنود ولقادة الجيش(٢) .

ولما اكتمل إعداد هذه الحملة خرج قائدها الأمير قايتباي الرمضاني الداودار متوجهاً إلى القلعة الملوكية يرافقه الأمراء والعسكر ، وكان في صحبته جانم الحمزاوي قائد الفرقة العثمانية ، والريس حامد القبطان قايد الأسطول المصري ، فلما طلع إلى القلعة المذكورة خلع عليه خاير بك حُلّة من الحرير المطرّز بالذهب ثم خلع على جانم الحمزاوي والريس حامد القبطان حُلّتين من الحرير المطرز أيضاً .

ومن القلعة تحركت هذه الحملة في ٦ من شهر شعبان سنة ٩٢٨ هـ (يوليو ١٥٢٢ م) ، تحت قيادة الأمير قايتباى الداودار في موكب مهيب تتقدمه

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .

، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

الراية الحمراء وخلفه فرقة (المهتر) الموسيقية العثمانية الحربية ، وكان يسير في هذا الموكب خاير بك والقضاه وكبار أعيان مصر لتوديع الحملة والدعاء لها بالتوفيق ، فشقت هذه الحملة القاهرة إلى بولاق حيث استقلت الأغربة[1] السريعة التي كانت في انتظارها متجهة نحو الاسكندرية ، ومنها أقلعت أول شهر رمضان ٩٢٨ هـ (أغسطس ١٥٢٢ م) . تحت حماية السفن الحربية الكبيرة التي خُصصت لنقلها بقيادة الريس حامد القبطان ، والتي بلغ بها سواحل رودس في ١٣ من شهر رمضان المبارك ٩٢٨ هـ أى بعد بدء الحرب في رودس بأسبوع ، وبعد وصول السلطان سليمان القانوني إلى جزيرة رودس[2] .

وقد ركب السلطان سليمان القانوني السفينة الحربية التي كان يقودها القبطان محمد رئيس والتي كان يطلق عليها (الملاك الأخضر)[3] ، فوصل رودس في غرة شهر رمضان المبارك ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م ، فاستقبله الوزراء ، وقواد الجيش والجنود بالتهليل والتكبير ، والدعاء بنصرة الإسلام والمسلمين ، ثم أطلقت المدفعية أكثر من مائة طلقة ، احتفاءً وفرحاً بقدومه[4] . شارك في إطلاقها أثنا عشرة مدفعاً ضخماً أثنان منها يقذفان كرات حجرية حجمها ١١، ١٢ شبراً[5] .

وتلا ذلك خروج السلطان من البحر إلى حيث مقر القاعدة الحربية في منطقة آده الواقعة على ساحل البحر ، والتي يسكن بها جميع الأركان والجند

---

(١) الغراب : سفينة حربية رأسها يشبه رأس الغراب ولهذا سميت باسمه ، ولمزيد من المعلومات انظر :
- عبد الرحمن الرافعي وآخرون : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٥٦٦ .
- محمد ياسين الحموي : تاريخ الاسطول العربي صفحة مجيدة من صفحات تاريخ العرب ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ص ٣٣ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٦ ، ٤٧٤ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) يلماز اوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٥٩ أ ، ٦٠ أ .
، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس .

(٥) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٥ .

العثماني ، وقد أعدّ للسلطان سكنا خاصاً في موضع مرتفع مكشوف الأطراف يطل من شماله على القلعة وعلى قواته وأيضا على ساحة الحرب[١] .

ثم تم إنزال قوات السلطان ومدافعها الثقيلة وآلات الحصار ، والذخائر والمؤن التي أحضرها معه على الساحل تسهيلاً لسحب المدافع الثقيلة ، وآلات الحصار إلى ما حول مدينة رودس وحصونها ولتعزيز الحصار .

وقد أمر السلطان ببناء قلالاً عظيمة للمدفعية الثقيلة لتكون لها قواعد وسواتر[٢] ، وبعد أن تفقد السلطان قواته ومراكزها الحربية أذن ببدء العمليات الحربية في الحصار للجزيرة[٣] .

لهذا جمع أركان جيشه وقواده في ديوان كبير عقده لمناقشة فتح قلعة رودس ولزيادة رفع حماس الجند للبذل والعطاء في الجهاد وقتال فرسان القديس يوحنا تحدث السلطان عن مدى أهمية جزيرة رودس لوقوعها في وسط الأراضي العثمانية ، ثم استعرض خطورة فرسانها فقال عن ذلك : « هذه القلعة ... قريبة مني غاية القرب بل واقعة في وسط المملكة التي فتحها آباؤنا وأجدادنا وكفار هذه القلعة سدّوا طريق الحجاج والتجار من جانب البحر ولهذا لم يتوجه إلى الحج والتجارة أحد من المسلمين ، وأن توجهوا إليهما من البحر يغلب الكفرة عليهم ويأخذون أموالهم ويحبسون أصحابها ويكلفون عليهم أعمالاً

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٥٩ أ ، ٦٠ أ .

، أحمد تشلبى القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبدالوهاب الجابى ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣١ .

(٢) عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ، ص ٨٧ .

، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٦٣ .

(٣) اندرى كلو : المرجع السابق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

شاقة متعلقة لحفظ القلعة من الأعداء كحفر الخندق ويحبسونهم في الليل ... مقيدين من الرأس إلى القدم بقيود متخذة من الحديد »[١] .

هذه الأقوال أثارت حماس الجيش العثماني لما يلقاه إخوانهم الحجاج والتجار من معاناة من حبس وسخرة في الأعمال الشاقة فازداد حماسهم للجهاد في سبيل الله ضد هذه الفئة الظالمة الكافرة .

ثم تطرق السلطان سليمان إلى الحديث عن عمه الأمير جم وكيف حبسه فرسان القديس يوحنا مستغلين وجوده لابتزاز الأموال من السلطان بايزيد الثاني جد السلطان سليمان القانوني[٢] .

حيث قال : « حتى حبسوا المرحوم عمنا سلطان جم في زمان جدنا المرحوم سلطان بايزيد خان عليه الرحمة والغفران ، ولم يخافوا منه أصلاً ، بل كان فسادهم وظلمهم للمسلمين أشد من الظلم الذي كان عليهم قبل حبس المرحوم سلطان جم »[٣] .

وهنا تساءل السلطان عن الأسباب التي منعت سلاطين آل عثمان السابقين من التوجه إلى هذه القلعة وفتحها رغم أنهم توجهوا إلى قلاع كثيرة في أوربا وهدموها وخلصوها من معاقل الصليبية ، وأجاب على هذا السؤال الذي طرحه بقوله : « إن هذه القلعة حصينة جداً وسائر قلاع الكفرة »[٤] فأسلحتها كثيرة ومتنوعة لحفظ هذه القلعة القوية التحصين ، ومن وراء هذه الحصون فرسانها المهرة المتفرغين لحمايتها ، وهم على علم بالأحوال البحرية أكثر من علم المسلمين به ، ويجيدون القتال البحري وفنونه ، وهم دوماً على

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٧٣ ب ، ٧٤ أ .

(٢) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٧ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ٧٤ أ ب ، ٧٥ أ ب .

(٤) أي في رودس .

وفاق لا يختلفون علي شيء متفقون على المسلمين ، يتغلبون في البحر دوماً على من يقاتلهم وهذه المسائل كلها مقنعة في عدم مجيء معظم سلاطين الدولة العثمانية إلى هذه القلعة خوفاً من غلبة قراصنة رودس عليهم ، ومضت أعمارهم مغمومين مهمومين فكرهم وبالهم مشغول لفتح هذه القلعة ، على الرغم من بعض المحاولات التي قام بها السلطان محمد الفاتح لفتح هذه القلعة وقد أوشك على فتحها لولا وفاته المفاجئة ، وخلاف ولداه بايزيد الثاني وجم على السلطنة مما حال دون إتمام ذلك الفتح ، وتنفس أهل رودس الصعداء بلجوء جم إلى جزيرتهم حتى أصبح هدفاً لتآمر الصليبية على الدولة العثمانية كما مر بنا[1] .

ولهذا أعد السلطان عدته للحرب ، وجهز لهذه الحملة تجهيزاً ضخما لم يسبق له مثيل من قبل لضمان فتح هذه القلعة ، والسيطرة التامة على قراصنتها ، وتحدث عن ذلك فقال : « جمعت عسكراً عظيما قابل للعدد والبيان وأمرت بجمع أضعاف جميع ما لابد منه في السفر إلى البر والبحر ... لفتح هذه القلعة متوكلا على الله وطالبا منه الاستعانة لحصول المطلوب قهراً للأعداء ... ولخلاص المحبوسين الذين مضت أعمارهم بالحبس من الحبس إن شاء الله تعالى في هذه القلعة ، واستجابة لدعاء جميع من في هذه السجون لنا بالخير والتوفيق كنا نحن السبب لفتح هذه القلعة المذكورة وخلاص المحبوسين فيها من الحبس »[2] .

وبعد أن شاهد السلطان حصونها على الطبيعة ، ومتانة القلاع التي شيدها فرسان القديس يوحنا في هذه الجزيرة ، وما أظهروا من الشجاعة

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٧٤ ب ، ٧٥ أ ب .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٨ .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ٧٥ أ ب ، ٧٦ أ .

، إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

والإقدام في أمر الدفاع ، شرع في ترتيب الحصار بنفسه ، ثم أصدر أوامره بتشديد الحصار براً وبحراً مع استمرار الهجوم ، باستعمال المدافع الثقيلة وغير ذلك من الترتيبات ، وحذرهم من عدم التهاون والتخاذل والنوم وترك سلاحهم عرضة للعدو ، فلابد من اليقظة الدائمة والتناوب المستمر بين وحدات الجيش ليلاً ونهاراً حتى يتم الفتح العظيم(١) .

وقد درس السلطان سليمان الحصار العثماني الأول في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) بصورة جيدة واستفاد منه ، لذلك أمر بتطويق الجزيرة بالسفن الحربية(٢) . فحاصر القلعة من البر والبحر بوضع المدافع ومختلف الأسلحة الحربية في مقابل القلعة وفي موقع مناسب لضربها وهدمها . أما من ناحية البحر فقد أمر بوضع عدد من السفن الحربية لقطع طريق أي مدد صليبي قد يصل من أي دولة نصرانية أوربية لمساعدة هذه الجزيرة ، كما أمر بوضع عدد آخر من السفن في مواجهة (لمان) وهي الترسانة أو المرسى الذي جمع فيها القراصنة سفنهم .

وبدأوا الحصار وطوقوا بما لديهم من آلات ومدافع وعساكر القلعة من كل جانب ، وزاد السلطان في حثهم على مواصلة الجهد، وتحصين ومراقبة الطرق وترك النوم والغفلة والتوكل على الله ، حتى لا يجد فرسان القديس يوحنا برودس فرصة يغتنمونها لقتلهم وأخذ أموالهم وتخريب سلاحهم وقطع رؤسهم ، وهدد السلطان عسكره بأنه لو حصل مثل ذلك لاختل نظام المعركة ، وفشل الحصار ، وبالتالي تعودون بهزيمة ثقيلة يفرح بها العدو الغاشم فتكونوا ممن استحق من سلطانه العقاب ، نعوذ بالله من ذلك .

فامتثل الأركان لأمر سلطانهم ، واتجهوا نحو القلعة واقتسموا المواقع بينهم . واستلم كل قائد وعسكره منهم جانباً من جوانب القلعة ونصب مدافعه

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٧٧ أ .

(٢) يلماز اوزوتونا : تاريخ الدولة العلية ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ .

تجاهها، ثم عين بدء الهجوم على القلعة في أول العشر من شهر رمضان المبارك سنة ٩٢٨ هـ / ٢٩ يوليو ١٥٢٢ م ، وضربها بالمدفعية وهدمها(١) .

ولكن هناك رواية أخرى تقول : بأن السلطان سليمان الأول قد حدد ضرب الجزيرة في اليوم الخامس من شهر رمضان المبارك سنة ٩٢٨ هـ الموافق ٢٩ من شهر يوليو ١٥٢٢ م(٢) .

و في الوقت المحدد للهجوم شرع كل قائد مكلف من الأركان في ضرب القلعة لهدمها حسب الخطة ، متوكلاً على الله تعالى و طالبا منه العون والاستعانة(٣) .

وقد كلف السلطان سليمان الأول صدره الأعظم بيرى باشا بجمع الإمدادات وكل ما يحتاج إليه الجيش العثماني في حربه لتفرغه لحصار القلعة ، أما بيرى باشا فقد شرع في هدم القلعة بمدفعيته في العشرة الأوائل من شهر شوال ٩٢٨ هـ أى بعد شهر تقريباً من بدء الحرب كما سيأتي(٤) .

ولما وصلت الحملة المصرية إلى جزيرة رودس استقبلها السلطان استقبالاً حافلاً وشكر قادتها وجندها ونوه بشجاعتهم وقوتهم أمام القوات العثمانية، وأمر وزيره تكريماً لهم بإسكانهم بجوار معسكره الخاص، ومن تلك اللحظة التحقت القوات المصرية بالقوات العثمانية لخوض المعارك والجهاد جنباً إلى

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ٧٧ أ ب ، ٧٨ أ ب .
، محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٨ .
، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .
(٢) حبيب غزاله بك : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ٧٨ أ ب .
، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .
، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٢٨ .
(٤) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ٧٩ ، أ ، ٨٠ أ .
، محمد كمال الدسوقى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

جنب ضد قوات فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس بكل قوة وحماس(١) .
وقد وصل الجيش المصرى في أربعة وعشرين غرابا إمداداً للسلطان العثماني(٢) ودعما لموقفه في جزيرة رودس .

وفي الوقت نفسه بلغ السلطان سليمان بأن لدى خاير بك واليه في مصر بعض آثار الرسول ﷺ، التي وصلت مصر حين انتقلت الخلافة العباسية عقب سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ومن هذه الآثار راية العقاب إحدى رايات الرسول ﷺ ، فأرسل إليه ليرسلها له إلى اسطنبول ، ولكن حامل هذه الراية لم يجد السلطان في اسطنبول لأنه قد توجه مع الحملة لحرب أهل رودس(٣) .

وقيل عن هذه الراية أن السلطان أرسل إلى خاير بك واليه في مصر ليرسل إليه راية العقاب ، وهي من رايات الرسول ﷺ ، فأرسلها خاير بك ، وأرسل معها نحو عشرين مركباً مقاتلاً على ظهورها خيرة شباب مصر لحمايتها(٤) .

وقد أراد السلطان بهذه الراية رفعها في تلك الحرب شامخة ليشعل الحماس بها بين صفوف المسلمين المقاتلين ليذكر الجندي العثماني المسلم بالبطولات الإسلامية ، وكأنه يعيش جوها وعبقها في زمن النبوة لرفع الروح القتالية لدى المقاتل المسلم لقتال قراصنة رودس فرسان القديس يوحنا الذين يمثلون الصليبية في هذا المعقل الذي استعصى فتحه من قبل رغم المحاولات السابقة من قبل السلاطين العثمانيين .

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
، عبدالجواد صابر إسماعيل : ولاية خاير بك ، ص ٨٨ .
(٢) القرماني : سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .
، أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .
(٣) ابن زنبل : آخرة المماليك ، واقعة السلطان الغورى مع سليم العثماني ، ص ١٦٥ .
(٤) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ .

وقد استمر حصار رودس شهراً كاملاً من العشرة الأوائل من شهر رمضان المبارك إلى العشر الأوائل من شهر شوال سنة ٩٢٨ هـ .

ويعني ذلك أن بيرى باشا لم يبدأ الحرب إلاّ بعد أن أكمل ما كان يحتاج إليه الأركان في حروبهم الجهادية ضد القراصنة ، في مواقعهم وقد استغرق هذا العمل شهراً واحداً كما أسلفنا .

ولما كان هذا العمل تاماً ولم يبقى شيء مما يتوقف عليه هدم القلعة ، جاء أمر السلطان إلى صدره الأعظم بيرى باشا بضرب القلعة من ناحية البحر ، قريباً من الموقع الذي هاجم منه مسيح باشا في عصر السلطان محمد الفاتح ، على أن ذلك الجانب ليس به خندق عميق كما هو حال الجوانب الأخرى من القلعة ، وبه قلعة صغيرة يقال لها بالفارسية (حصار بجّه) غير الأبدان والقلة التي يقال لها قلة مسيح باشا ، لأنه باشر فتح القلعة من هذه القلة فسميت باسمه ، ثم القلة الكبيرة التي لا واسطة بينهما وبين بيوت القراصنة أصلاً إلاّ ما استحدث بعد حرب مسيح باشا لهدم هذه القلعة من تلك الجانب[1] .

لذلك باشر بيرى باشا هدم القلعة من ناحية البحر بالمدافع الكبيرة وبعض الآلات الحربية وقد اشترك في هذا الهجوم مع الباشا بأمر السلطان الجيش المصري الذي بعث به والي مصر خاير بك للاشتراك في فتح جزيرة رودس إلى جانب الجيش العثماني ضد قراصنة رودس ، كما اشترك بعض الجند العثماني والأركان من رعايا الدولة العثمانية[2] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٧٩ أ .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ٨٠ ب .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ .

ـ احتدام المعارك الحربية وجلاء فرسان القديس يوحنا عن رودس :

وكانت مواقع الأركان في ميدان الحرب على النحو التالي :

قاسم باشا كان يقف فوق بيرى باشا بعسكر الأناضول ، ويقف من فوقه مصطفى باشا بالرعايا وملوك الصناجق ، وفوقه إياس باشا بعسكر الروم وغيرهم من الجند العثماني . في المقابل أحمد باشا مع أغا باشا وغلمان السلطان وغيرهم من رعايا الدولة العثمانية ، فباشر هؤلاء الأركان وملوك الصناجق هدم القلعة ودفع الموانع الخارجية من كل الجوانب ، هذه الموانع التي كانت في الماضي تمنع المسلمين من الدخول إلى القلعة ، وتوضيحاً لذلك فإن تصميم واختيار موقع القلعة الاستراتيجي كان بحق يعتبر مانعاً آخر(١) ، إلى جانب المواقع المتعددة الأخرى في كل أطراف القلعة مثل : الخندق والقلعة الصغيرة التي يقال لها حصار بجّه ، والقلعة الكبيرة التي لا واسطة بينها وبين بيوت من كان من الكفرة قراصنة رودس ، والقلل والأبدان في رؤس القلعة ، وغير ذلك من الآلات الخاصة في القلل والأبدان استعداداً لأى هجوم طارىء وللرمى منها على من أراد الهجوم على قلعتهم ، وبهذه الموانع يستطيع القراصنة منع أى مهاجم من دخول القلعة وأخذ ما بها من الأموال والنساء والأطفال ، إذاً فكيف يستطيع العثمانيون الوصول إلى هذه القلعة إذا ما قاموا بدفع الموانع المذكورة؟ وكيف يمكن لهم ذلك ؟؟ إن هذا لن يتحقق لهم إلاّ بالمدافع وبعض الآلات الهادمة .

وتنقسم موانع دخول القلعة إلى قسمين قسم داخلي وقسم خارجي ، وكانت الموانع الخارجية في جميع القلاع الرادوسية ليست متساوية في كل الجوانب بل متفاوتة فيه بالقلة والكثرة .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٨٠ أ ب .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقات ، ٨١ أ ب ، ٨٢ أ ب ، ٨٣ أ .

ففي جانب بيرى باشا كانت الموانع خمسة ، الأول منها الأبدان والثاني القلة المعروفة بقلة مسيح باشا ، والثالث والرابع والخامس القلعة الكبيرة المتصلة ببيوت قراصنة رودس ، لأن هذه القلعة جامعة للموانع الثلاثة بطبقاتها الداخلية والخارجية والتراب المملوء بين طبقتيها ، فكل واحد منهما يمثل مانعاً مستقلاً يستغرق دفعه زمناً طويلاً ، وليس في جانب بيرى باشا الخندق العميق وحصار بجّه[1] .

أما الموانع الخارجية في جانب مصطفى باشا فهي أكثر الموانع ، إذ بلغ عددها عشرة موانع الأول القلل والثاني الأبدان ، والثالث والرابع الخندقان ، والستة الموانع الباقية هي : القلعة الصغيرة فيما بين الخندقين والقلعة الكبيرة في مقابل الخندق الثاني وكل قلعة من هاتين القلعتين تشتمل على ثلاث موانع .

أما الموانع الخارجية في جانب أحمد باشا فعددها تسعة لأن ما ذكرناه من موانع في جانب مصطفى باشا موجودة في طرف أحمد باشا ما عدا الخندقين .

وكل واحد من هذه الموانع قوى لا تقدر على دفعه الجن فكيف يتسنى للإنسان ذلك .

ولما كان المانع والدافع معلومين لدى القادة والأركان العثمانيين بأقسامهما فقد وصلوا مع ساير جنودهم إلى القلعة في العشر الأوائل من شهر رمضان لحصارها من كل جانب ، فوضع كل قائد آلاته الهادمة في المكان المكلف به من قبل سلطانه لضرب القلعة وهدمها . فباشروا هدم القلعة، ورموها بالآلات الهادمة ، كالمدافع الكبيرة ، رمياً زلزل أهل رودس في الليل والنهار، واستخدموا المدفع الهوائي (الهاون) التي تصعد طلقاته إلى السماء بقوة

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية : مخطوط ، الورقات ، ٨١ أ ب ، ٨٢ أ ب ، ٨٣ أ .

المحرك وتنزل سريعاً إلى الأرض لذلك ما تصيب من البيوت وقتل الإنسان والحيوان .

وقد باشر هؤلاء الأركان وعسكرهم هذا العمل من أول اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك إلى العشرة الأوائل من شهر شوال ، فاستطاعوا هدم بعض الموانع بالآلات الهادمة ، كالقلل والأبدان وغيرها ، وانفتح أمامهم طريقاً واسعاً قابلاً لدخول عسكرهم إلى القلعة بلا مضايقة تذكر إلاّ إذا منعهم مانعاً آخر فوقع المحذور حيث وجدوا في الطريق ثلاثة موانع منعتهم من دخول القلعة[1] .

وكان المانع الأول الخندق العميق الذي أعاق دخول المسلمين القلعة لأنه غائر جداً في الأرض ولا تصل إليه مدافع المسلمين . ومن سقط فيه بالاتفاق أو بالاضطرار لا يمكن أن يخرج منه إلاّ بمعاون أو يموت بالجزع والفزع .

أما المانعان الثاني والثالث من دخول القلعة فثابتان بالدليل القاطع ، وقد جعل قراصنة رودس القلل والأبدان مخابيء لهم لقتل المسلمين بأعداد كثيرة ، في مقابل ذلك لا يستطيع المسلمون دفع موانع هؤلاء القراصنة بالآلات الدافعة لإبطال القراصنة مفعول محافظ[2] المسلمين الحربية بالآلات المبطلة لها من تلك الموانع العالية .

لذلك قام العثمانيون بالتفتيش عن طرق أخرى توصلهم إلى القلعة دون تلك التي يسيطرون عليها ، فلم يجدوا غير هذه الطرق الثلاثة (الخندق ، والأبدان ، والقلل) فشددوا عليها الحصار، وحفروا الأرض ، وجمعوا ترابها في جوار الخندق ، في مقابل قلعة القراصنة لإزالة هذه الموانع ، حيث صار هذا التراب المجمع من الحفر جبلاً عظيماً وقلعة عالية أعلى من قلعة قراصنة

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ٨٣ أ ب ، ٨٥ أب ، ٨٦ أ ، ٨٧ أ ب .

(٢) مخابيء الجنود أو سواتر لحفظهم من مدافع العدو .

رودس ، وجعلوا من التراب المجمع محفظتين : الأولى للمدافع والثانية لحفظ الجنود ، وبهذا العمل أمن المسلمون من شر مدافع قراصنة رودس ، وضرب العثمانيون المسلمون قراصنة رودس بالمدافع ، وملأوا الخندق الغائر في الأرض المذكور بالتراب تمهيداً لهجوم أحمد باشا على قلعة رودس منه .

ومما يجدر ذكره أن مصطفى باشا لم يعمل في دفع الموانع المذكورة كما فعل أحمد باشا ، وإنما شق الأرض يمينا وشمالاً نحو الخندق ، ثم قام بثقب الخندق في عدة مواضع ، لكون الخندق مملوءً بالأحجار والأشجار ، وسعى سعياً حثيثاً بالليل والنهار من العشرة الأوائل من شهر رمضان المبارك إلى العشر الأوائل من شهر شوال ، ولم ينجز هذا الباشا نصف هذا العمل ، ولهذا لم يكن قادراً على دفع الموانع المذكورة ، ليس إهمالاً منه أو تقصيراً بل لصعوبة دفع هذه الموانع من جانبه[1] .

بيد أن أحمد باشا استطاع دفع الموانع التي في جانبه كما سبق ذكره في مدة وجيزة لسهولتها ولم يبق منها شيء يمنعه من دخول القلعة هو وجنده ، لذلك باشر كل الأركان في هدم القلعة من العشرة الأوائل من رمضان إلى العشرة الأواخر من شهر شوال كما أسلفنا آنفاً ، وعند المباشرة لفتح القلعة والدخول فيها ظهر مانع آخر ، يمنع المسلمين من المشي قدماً أو قدمين إلى الأمام ، فكيف الدخول إلى داخل القلعة ؛ لأن قراصنة جزيرة رودس قاموا بثقب بعض الألواح بمثقب خاص وفي عدة مواضع كثيرة في الألواح ، وعملوا من الحديد مسامير كثيرة غليظة في سمكها طويلة في ارتفاعها تساوى قامة الرجل في طوله، رؤسها كرؤس الأسنة والأبر، فنصبوا هذه المسامير بعد صنعها في المواضع المثقوبة في الألواح وثبتوها تثبيتاً لا تتحرك منها ووضعوها في الطرق

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ٨٧ ب ، ٨٨ أ ، ٨٩ أ ، ٩٠ أ ب .

التي توقعوا دخول المسلمين منها إلى القلعة حتى تغرز هذه المسامير في أقدام المسلمين حين يسيرون في تلك الممرات مندفعين لدخول القلعة ، ولم يكن يتوقع المسلمين هذه الأعمال إلى الخلف ليقعوا صيداً سهلاً للقراصنة الذين يقومون بقتلهم جميعاً دون رأفة أو رحمة .

أما الأركان العثمانيون فقد عملوا على دفع الموانع الخارجية ، وأما الموانع الداخلية التي تمنع المسلمين من دخول القلعة فلم يعرف المسلمون عنها شيئاً .

وعلى الرغم من ذلك فقد خمنّ المسلمون بأن الموانع الداخلية التي تمنع المسلمين من دخول القلعة خمسة ، اثنان منهما مختفيان عن الحس كالنقب والخندق تحت الطريق الذي يدخل منه المسلمون القلعة ، والثلاثة الباقية محسوسة بالحس البصرى كالمدفع الذي وضع في مقابل الطريق المذكور ، وعلى رؤس الأسواق وفوق البيوت ، وكالنيزك الذي اتخذوه من الحديد ونشروه في الأسواق ، وكالمحافظ التي وضعوها في الأسواق لحفظ فرسانهم وللنيل من المسلمين عند الحاجة[1] .

وعند ظهور هذه الموانع المشار إليها سابقاً والتي حيرت القادة العثمانيين في الفتح وبعد أن مضت ليالٍ قلائل ظهر من قلعة رودس ومن الجهة التي يعسكر فيها أحمد باشا وقواته رجل ظنّه رجال الباشا أحد الكفرة ، ولكنه كان مسلماً موحداً بالله ومصدقاً لرسالة الرسول ﷺ ، فاراً بدينه من الأعداء وظلمهم ، محباً للسلطان سليمان الأول القانوني ، مبغضاً لقراصنة رودس لما لاقاه منهم ولما رآه من تعذيب المسجونين من المسلمين في سجونهم ، فأفضى هذا المسلم إلى الباشا بأسرار ومعلومات مهمة عن القلعة وحصونها وبحيل القراصنة وسحرها ومباشرتها في داخل القلعة وإلى عمل بعض الموانع الخفية،

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٩١ أ ب ، ٩٢ أ ب .

وبين صعوبة القلعة ومتانتها وامتناع فتحها من طرف مصطفى باشا ، وأنه لا يصلح لتقدم جيش العثمانيين وفتحها إلاّ من جهة أحمد باشا وبيرى باشا على أن تدفع الموانع المانعة للفتح من الناحية التي يعسكر فيها أحمد باشا وبيرى باشا ، وهي القلل والأبدان وحصار بجه[1] .

ويروي حبيب غزاله بك : « أن الجيش العثماني لما عجز عن فتح الجزيرة بعد تلك المعارك الهائلة لوجود الموانع المذكورة ، فترت عزيمته وكاد أن يكف عن القتال ، إلاّ أن رسالة أتته في سهم من فوق أسوار المدينة وفيها من الأنباء عن قوة الفرسان ومواطن مواقع الضعف ، ما شدّ عزيمته فأعاد الكرة وفاز ببغيته »[2] .

وقد أرسلت هذه الأنباء بايعاز من أحد كبار القواد (أسباني) الجنسية واسمه « اندريه دامرال » وكان هذا القائد يطمع من زمن تولى الرئاسة ، ولمّا وقع الانتخاب على « دى ليل آدم » حقد عليه وأضمر له السوء ، فكان يرصد عليه أخطاءه خفية للإطاحة به ، حتى نشبت الحرب ، فانتهز الفرصة ليشفي غلته ، وقد انكشف أمره فأمر رئيس الرهبان بعقد مجلس حربي لمحاكمته ، وقد تبين من التحقيق أنه كان يبعث للجيوش العثمانية برسالة في كل أسبوع عن حالة الحصون والذخيرة ، وعدد القتلى ، فجرد من رتبته العسكرية ودرجاته ، وحكم عليه بالقتل ومثّل به لارتكابه الخيانة العُظمى[3] .

ومهما تكن درجة صحة هذه الرواية ، والتي يقصد بها تهميش دور الفتح العثماني للجزيرة لولا خيانة هذا القائد كعادتهم في مثل هذه الأمور والمواقف التي ينتصر فيها المسلمون تقليلاً من شأنهم في مجال الحرب ، فإن هذا المسلم

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٩٣ أ ، ٩٤ ب .

(٢) جزيرة رودس ، ص ٣٥ .

(٣) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٥ .

قد ذكر لأحمد باشا كل الموانع الداخلية والخارجية التي شاهدها بالعين المجردة ، ووقف عليها فقال : « إن في داخل القلعة موانع تمنع المسلمين عن المشي والدخول إلى القلعة بعضها مخفي وبعضها محسوس » فبين المانع الأول حيث قال : « إن هؤلاء الفرسان قراصنة رودس قاموا بشق نفق تحت الطريق الذي يمشي عليه المسلمون لدخول القلعة وقاموا بستر هذا الطريق بألواح ضعيفة ، وستروا هذه الألواح بقليل من التراب حتى إذا هجم المسلمون من ذلك الطريق قاموا بإشعال النار بتلك الألواح الضعيفة فتتساقط هذه الألواح ويتساقط الجند المسلم من تلك الفراغات إلى داخل النفق . والنار تشتعل في أجسادهم فيلقون حتفهم وهذه أحد الموانع الخفية » .

ومن هذه الموانع كذلك هو دس الألواح التي دقت فيها المسامير ، ووضعها مانعاً آخر خفياً في طريق المسلمين ، لتغرز هذه المسامير في أقدامهم عندما يسيرون إلى القلعة .

كما أخبر هذا المسلم الباشا بالقرار الذي أتخذه قراصنة الجزيرة وتعهدوا فيه بعدم تسليم القلعة للسلطان واختاروا على ذلك الموت ، وكان الفارس منهم مسلحاً بكامل عدته الحربية ، ومتأهباً للإنقضاض على المقاتلين العثمانيين ، كما وضعوا في داخل القلعة وفي كل جوانبها المدافع والآلات القاتلة كالالغام وغيرها من المواد الحارقة، وعند دخول الجيش العثماني القلعة ، تدخل هذه الفئة من القراصنة داخل الآلات خوفاً من سيوف المسلمين وأسنتهم ويضربون المسلمون من هذه الآلات المذكورة دون أن يراهم المسلمين [1] .

وبعد أن أخبرهم المسلم عن المواقع الداخلية والخارجية للقلعة، قال لأحمد الباشا : « إن بطرفكم مانع قوى يمنع المسلمين عن الدخول إلى القلعة منعاً قوياً ، فإن دُفع هذا المانع من طرفكم يمكن الدخول إلى القلعة بالسهولة وهو

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ٩٤ ب ، ٩٥ أ ب .

القلة في جوار حصار بجّه لأن هذه القلة مملؤة بالكفرة العصاه وعددهم ثلاثمائة وهم يتربصون ... دائماً عند توجه المسلمين إلى القلعة ليضربوهم بالآلات المذكورة وليقتلوا منهم أشخاصاً كثيرة في الحال ، فإن هدمتم هذه القلعة وأخذتم من الأشجار سلّما وأسندتم هذا السلم إلى القلعة يمكن فتحها والدخول إليها بهذا الطريق »[١] .

ولما كان فتح القلعة متوقفاً على هدم هذه القلة المذكورة واتخاذ سُلم من الأشجار ، فقد شرع أحمد باشا في هدم القلة المذكورة بالسلالم المذكورة قبل الهجوم على القلعة الكبرى .

لكن المسلم عاد بالقول وأخبر عن صعوبة فتح القلعة ، وبين المانع الأول وقال : « إن هذه القلعة الكبيرة المتصلة ببيوت الكفرة ، والصغيرة المعروفة بحصار بجّه ليس كل واحده منهما طبقة واحدة بل طبقتان ، وكل طبقة من هاتين الطبقتين سبعة عشر شبراً ، وبينهما مملوءاً بالتراب والرمل والأحجار الصغيرة ، وعرضها أي عرض كل واحد من هاتين القلعتين واسع وقابل للزّراعة ومشي العسكر بالأفراس ...» .

ثم بين هذا المسلم المانع الثاني وهو الخندق الكبير بقوله : « أنه عريض وعميق ولهذا لا يمكن ملؤه بالأحجار والأشجار ، أصلاً ، أمّا إن مليء بالتراب والأحجار والأشجار ، وهدمت القلة المذكورة التي فيها ثلاثمائة من الكفرة (القراصنة) وأتخذ السلّم .. وصُعِد منه إلى القلة يمكن فتحها والدخول إليها بفضل الله تعالى[٢] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ٩٦ أ ب .
- Stanford Show : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, ، London, P. 88.

(٢) رمضان : المصدر السابق الورقتان ، ٩٦ ب ، ٩٧ أ .
- Stanford Shaw : Op. Cit, P. 88 ،
، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٩٠ .

من هذا التفصيل نعلم أن موانع دخول المسلمين القلعة تتمثل في الخندق، وحصار بجّه ، والأبدان ، والقلعة المتصلة ببيوت القراصنة ، وأن أهم دوافع لهذه الموانع إنما هى المدافع والنقب وغيرها من الآلات الخاصة بالهدم .

فأصبح المانع والدافع معلوماً لدى الأركان العثمانيين الذين اشتغلوا بدفع الموانع المذكورة من كل الجوانب من أول العشرة من شهر رمضان إلى آخر شهر شوال ، ورموا القلعة بالمدافع من كل جانب بالمدافع والآلات الهادمة رمياً شديداً ، وركزوا القصف بالمدافع الهوائية على داخل القلعة وقذفوها بالقنابل المملوءة بالنفط ، وهدموا بيوت القراصنة الكفرة وقتلوا كثيراً منهم ومن أفراسهم بالمدافع والقنابل المذكورة داخل القلعة من أول العشرة الأول من شهر رمضان إلى آخر شهر شوال ، حيث توقف القصف من قبل الجيش العثماني لعدم اكتمال دفع الموانع المذكورة تماماً والتي كانت تمنع دخول المسلمين إلى القلعة كالخندق والقلل والأبدان وغيرها من الموانع الأخرى ، وكان هذا التوقف خوفاً على الجند العثماني المحارب من المخاطرة والقتل لصعوبة اختراق هذه الموانع .

لهذا اجتمع السلطان وكبار الأركان لدراسة المواقع وللتوصل إلى كيفية إزالة هذه الموانع ، فرأى السلطان وأركانه أن يركز الجيش في قتاله من جانبي بيري باشا وأحمد باشا ، لأن هذين الجانبين هما أقل الموانع صعوبة وأسهلها طريقاً لفتح القلعة أخذاً بنصيحة المسلم الفار من قلعة رودس[1] .

وفي مقابل ذلك كان استعداد رئيس فرسان القديس يوحنا دى ليل آدم بقواته من مختلف الأجناس الأوربية للدفاع عن القلعة وقد وفد إلى الجزيرة فرسان وجنود من فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا ، بل من كل الدول الأوربية الصليبية للدفاع المستميت عن هذه الجزيرة المعقل الذي كان يعتبره الغرب قلعة

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ٩٨ ب ، ٩٩ أ ب ، ١٠٠ ب .

المسيحية الأولى في وجه المسلمين لصد قوتهم والقيد من حريتهم لوقوعها في قلب المياه العثمانية الإسلامية[1] .

وقد عاش حكام جزيرة رودس بعد صد هجومهم السلطان محمد الفاتح منذ أربعين عاماً في خوف دائم من هجوم مرتقب جديد من قبل الدولة العثمانية، ومن هذا المنطلق فقد أرسلت إلى رودس كل الأسلحة والذخاير الاحتياطية المتاحة من قطاعات الرهبنة المسيحية في أوربا لتستخدم في التجهيزات العسكرية سواء في هذه المدافع أو البنادق أو ما يستخدم في الدفاع عن الحصون والقلاع ، وقد أصبحت وسائل الدفاع التي وصلت إلى الجزيرة من أكثر الطرز جدّةً وحداثة ، وخاصة أنها صُمّمت لتقاوم نيران المدفعية العثمانية ، كما تحميها قوة ثابتة تقدر بنحو ستة آلاف رجل[2] .

وكان زعيم الفرسان قد رتب حاميات الجزيرة وزودها بخمسة آلاف من الجنود المدربين منهم ستمائة من الفرسان وقد دعا خبراء الموانيء للشئون البحرية إلى الالتحاق برجال الحامية الرودسية ، كما دعا غيرهم من السكان إلى الاشتراك في الدفاع مع الفرسان عن رودس ، وقد درب هؤلاء الخبراء الفلاحين على الحركات والفنون العسكرية والحقوهم بالفرسان للدفاع عن مدينة رودس خاصّة وعن جزيرة رودس عامة .

أما العبيد والارقاء من الأسرى فقد خصصوا للعمل بالسخرة آناء الليل وأطراف النهار في بناء الحصون وترميم الأسوار .

وكانت معاقل عاصمة الجزيرة ووسائط الدفاع قد زادت أسوارها فاشتدت عما كانت عليه منذ الحصار الأول حصار السلطان محمد الثاني الذي سبق الحديث عنه ، حتى لو تصدعت أسوارها الخارجية وأخذها المهاجمون فإن الأسوار الداخلية العديدة ستصد وتعرقل تقدمهم إلى الداخل[3] .

---

(١) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ .

(٢) - L. S. Stavrianos, the Balkans since 1453, London, P. 72 - 73.

(٣) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

وكان لبعض جهات المدينة حصون ومعاقل قوية خاصة بها حيث تستعصي على المهاجمين ، ويصبر من بها على طول الحصار وكيده[١] .

وكانت قلعة رودس من أمنع حصون الدنيا ، وكان بانيها ماهراً في الهندسة حيث بنى سورين للقلعة تحت الأرض ، وعمل لها خندقاً عريضاً عميقاً، وشحنها بالمدافع وجعل للمدينة سورين في عرض سبعة أذرع ، وملأ ما بينهما بالتراب والحجارة ـ مقدار عشرة أذرع ـ وكان لها من جانب البحر ميناء عظيم مدور كالحوض ، له باب مخصوص[٢] ، هذا الميناء هو الميناء الكبير المعروف بميناء (الكمرك) ، وكان محصناً وفي وسطه برج العرب ، وقد شد الفرسان في مدخله سلسلة من حديد ضخمة لمنع السفن من اجتيازه مثل سلسلة القرن الذهبي ، ثم قاموا بسد الميناء الثاني المعروف باسم (مندراكى) ويسميه الترك (الترسانة) بمراكب شحنوها بحجارة وأغرقوها في مياهه[٣] . إضافة إلى بعض القلل والبروج التي تناغى في العلو والأحكام عنان السماء[٤] .

وهنا أعطى السلطان أوامره للأركان وحدد بأن يكون الهجوم على القلعة في اليوم الثاني من شهر ذى القعدة سن ٩٢٨ هـ[٥] ، ولم ينتظر إزالة الموانع كلها ، ولما حدد يوم الهجوم أعلن الأركان لقواتهم العسكرية البرية والبحرية ولمن اشترك معهم في فتح جزيرة رودس من العرب وغيرهم بالقيام في اليوم الثاني من ذي القعدة وفي الثلث الأخير من الليل على نية الشهادة في

(١) القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٢) القرماني : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

، أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .

(٣) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣١ .

(٤) القرمانى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

، أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .

(٥) محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ .

سبيل الله ، فتوضئوا وصلوا وأدعو الله لأن الدعاء في هذا الوقت من الليل مستجاب بأمر الله ، وظلوا على هذا العمل الصالح حتى الفجر ، ثم بعد ذلك اتجهوا إلى المسجد وصلوا صلاة الصبح ، وطلبوا من الله تعالى النصر وبلوغ الهدف وهو فتح جزيرة رودس ، ثم استعدوا للحرب وأخذوا سلاحهم لقتال قراصنة رودس ، وقد ضرب لهؤلاء الجند العثماني موعد للهجوم على القلعة وحصارها وهو طلوع الشمس في ذلك اليوم المحدد ، بعون الله تعالى وإمداده .

وقد وعد السلطان من يصعد إلى القلعة من المسلمين أولاً أن يعطى سنجقاً ، ثم أمر بقتل رئيس الرهبان وفرسانه وسمح للجند بأخذ ما في القلعة من الأموال والأولاد والأزواج ، وحذر من أخذ الآلات والأسلحة الحربية اللازمة للقلعة .

وبعد إعلان يوم الهجوم أصبح الجنود المسلمون ينتظرون وقت طلوع الشمس ، فلما حلّ هذا الموعد هبو مسرعين إلى القلعة يكبرون ويهللون بأصوات عالية يريدون الفتح والغنيمة ، أو الشهادة في سبيل الله .

فأحاطوا القلعة من كل جانب منتظرين أمر سلطانهم ببدء الهجوم من طلوع الفجر إلى العصر ، غير أن السلطان لم يعط أوامره لمباشرة الفتح ، وسبب ذلك ظهور مانع قوى جهة الوزيرين أحمد باشا وبيرى باشا ، لأنهما لم يستطيعا إتمام هدم بعض الموانع في الموعد المحدد للهجوم العام وهو اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ٩٢٨ هـ[١] ، فأجّل السلطان الهجوم العام إلى اليوم الثالث ، وأعلن للعسكر العثماني المحاصر للقلعة الموعد الجديد من أجل إتمام استعدادات الجنود والوزيرين المذكورين[٢] ، وبناء على ذلك رجع الجنود

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ١٠٠ ب ، ١٠٢ أ ب ، ١٠٣ أ ب ، ١٠٥ ب ، ١٠٦ أ ب .

(٢) محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ .

إلى ثكناتهم ليكرسوا الاستعداد ، ولكنهم لم يناموا في تلك الليلة انتظاراً للصباح ليتقدموا عند طلوع الشمس إلى القلعة ، وكلهم عزم وإصرار على فتح القلعة أو الاستشهاد .

فخرج سلطانهم من مقره بعد أداء فريضة صلاة الفجر في الموعد المحدد من ذلك اليوم إلى المكان الذي أعد له للإشراف على سير المعركة ، ومن هذا المكان يستطيع السلطان أن يرى من بداخل القلعة ومن خارجها ، وكذلك يستطيع أن يرى منه بيوتها وشوارعها ، ومن يتحرك فيها من الفرسان ، كما يستطيع أن يرى منه مواقع أركانه وعسكرهم في القتال مع القراصنة فرسان القديس يوحنا ليسهل عليه توجيههم .

وبعد أن استقرّ في ذلك المكان أعطى إشارة البدء ، للهجوم العام ، فحاصر الأركان وعسكرهم القلعة وباشروا الحرب والقتال مع قراصنة فرسان القديس يوحنا ، وصعدوا إلى القلعة بكل شجاعة ودون خوف من القراصنة ، فكان هجوماً قوياً من العثمانيين ودفاعاً مستميتاً من الفرسان ، فاطلق الجنود العثمانيون مدافعهم وبنادقهم ، وباشروا القتال بالسيوف والسنان لعدم وصول مدافعهم إلى الفرسان ولكونهم محفوظين بالأبدان ، بل بالمدافع والقنابل المملوءة بالنفط وغير ذلك من الآلات المسخرة لحماية قلاعهم(١) .

فاشتدّ القتال بين الفريقين واستبسل المسلمون ، ودافع القراصنة دفاع الأبطال عن قلعتهم ، وخصوصاً منهم الرهبان ، وقاتل معهم النساء وكنّ يساعدن الرجال في الدفاع بإلقاء الأحجار على المحاصرين من العثمانيين المسلمين وصب الزيوت الحارة على رءوسهم ، لكن ذلك لم يثن المحارب العثماني عن مواصلة الهجوم(٢) .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ١٠٧ أ ب ، ١٠٨ أ ب ، ١٠٩ أ ب ، ١١٠ أ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ .
، اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٦ .

روى اندرى كلو : « إن امـرأة من هؤلاء النسـوة وهي يونانيـة الأصل ، مات زوجها في المعقل الانجليزى ، فقامت بطعن ولديها بخنجر كان معها ، بعد تقبيلهما بالقبل الحارة ، ثم ألقت بهما في النار قائلة حتى لا يقدر التركي على تدنيسكما لا في الحيـاة ولا في الموت . ثم تدثرت بالمعطف الملوث بدم الرجل الذي أحبته ثم ألقت بنفسها في حلبة القتال ، تحارب والسيف في يدها ، حيث سقطت قتيلة في المعركة بسرعة » [١] .

لذلك كثر القتل في صفوف المسلمين وكفار الجزيرة ، وعلت فيها أصوات وأنين الجرحى والمصابين حيث قال رمضان : « وسال دم المقتولين والمجروحين من الطرفين من القلعة إلى الأرض كما سال ماء المطر من السماء إلى الأرض ، وكان الموضع الغاير من الأرض مملوءاً بدماء المقتولين والمجروحين كالحوض المملوء بالماء ، وهلك المجروح غير القادر على الحركة بالغرق في الدم »[٢] .

فأمتد قتال المسلمين مع فرسان القديس يوحنا إلى الضحى وقد أبلوا بلاءً حسناً[٣] وقد دامت هذه المعركة كامل اليوم دون نتيجة اللهم إلاّ العديدين من القتلى من كلا الجانبين ففقد العثمانيون الكثير من جنودهم[٤] .

وكان أكثر من يصعد أو يتسلق إلى القلعة من المسلمين يقع شهيداً ، وأصبحوا غير قادرين على القتال وإسكات مدافع الفرسان ، لذلك انقطع صعود المسلمين إلى القلعة خوفاً من القتل على يد القراصنة وبالتالي توقف الفتح في

---

(١) سليمان القانوني ، ص ٨٦ .

(٢) الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقه ١١١ أ .

، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٢ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ١١١ ب ، ١١٢ ب .

، القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٤) اندرى كلو : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

ضحى ذلك اليوم ٣ من شهر ذى القعدة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م ، لوجود بعض الموانع القوية والممثلة في قوة حصونها لأن حصون قلعة رودس ، كما أسلفنا كانت من أمنع حصون الدنيا[١] . هذه الموانع أهمها يتمثل في :

١ ـ كثرة القلاع المتصل بعضها ببعض حتى بيوت الكفرة وسط الجزيرة .

٢ ـ قوة القلل والبروج الشاهقة فوق القلاع ومن خلفها القراصنة والمدافع التي يرمون بها المسلمين لمنع دخولهم إلى وسط هذه الجزيرة .

إذاً الحل ما هو إلا هدم هذه القلل والبروج ، ولكن كيف يكون ذلك ؟ وأهل الجزيرة يطلقون المدافع من هذه القلل والأبدان على كل ما تقع عليه عيونهم سواء كان ذلك إنساناً أو حيواناً زيادة في الحرص للحفاظ على قلعتهم من أى غزو أو هجوم[٢] .

ولما كان السلطان مصمماً على الفتح فقد لاحت للقائد العظيم أحمد باشا فكرة جديدة وهى هدم القلعة المتصلة ببيوت القراصنة مع كل طبقاتها أو في بعض المواضع بفئوس متينة لا يتأثر حدها من ضرب أو هدم الأحجار الصلبة هذه الفئوس يجب أن تكون مصنوعة من الحديد القوى مخصصة لشق مثل هذه الطرق الجبلية لقوة حديدها وصلابته وذلك لمرور الجند والخيل والجمال بأحمالها وأثقالها ، وقد استغرق هذا العمل نهاية شهر ذى القعدة من العام نفسه[٣] .

وبعد ذلك أعطى السلطان أمره بالشروع في الهجوم على القلعة من جديد، وحدد لهذا الهجوم التاسع من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ . وجعل

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقة ، ١١١ أ .
، القرمانى : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ١١٢ ب .
، القرمانى : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقة ١١٣ أ .
، محمد كمال الدسوقى : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

الاشتراك في ذلك الهجوم العام اختياراً لمن يشاء من الجند أن يشترك فيه على أن لا يفر من القتال، ووعد بمنح المشتركين فيه المناصب العالية والمنح الكثيرة .

ونادى منادى السلطان إلى من أراد الاشتراك من الجند في الجهاد والحرب ضد قراصنة رودس فرسان القديس يوحنا بقوله : « يا أيها المؤمنون وياعساكر المسلمين ويامن يجيء إلى القتال مع الكفرة باختيار ويامن ادّعى أن لا يفر عن الأعداء عند القتال أن يستعد استعداد الأبطال ، وأن يقوم للصلاة والدعاء في الثلث الأخير من الليل لاستجابة الدعاء في ذلك الوقت لمباشرة القتال قبل طلوع الفجر والحمل على الأعداء لأن السلطان أمركم بالشروع في الهجوم على القلعة في التاسع من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ ، ووعد كل واحد منكم بمرتبة عاليه مناسبة ، ثم أمر بقتل رئيس الفرسان والرهبان وأهل الطغيان ، واستثنى من القتل الصبيان والنساء ، وأخذ ما كان فيها قابلاً للأخذ والنقل ، إلاّ الأشياء الثابتة والمتعلقة بالقلعة من آلات الحرب وغيرها ، فلم يسمح بأخذها السلطان لضبط أمن البلاد »(١) .

ولما سمع الجند العثماني المنادى ، أخذهم الحماس لكسب الشهادة في سبيل الله أولاً ثم المال والوظائف العالية ثانيا ، وفي الموعد المحدد حضر الأركان وممن أتى متطوعاً من الجيش إلى القلعة يتقدمهم العلم العثماني يريدون الطريق المؤدى إليها ، وعند دخول الجيش من هذا الطريق نظروا إلى الميمنة والميسرة ، ولم يروا أحداً من الكفرة ، لاختفائهم وراء الأسوار والقلل والبروج العالية ، فظنوا أنهم هربوا من القلعة خوفاً منهم ، لذلك زال خوف المسلمين وتسلقوا جدار القلعة لدخولها ، ولمّا رأى الفرسان وقوع الجيش

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ١٢٧ ب ، ١٢٨ أ ب ، ١٢٩ أ ب .
، يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .
، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٩٠ .

العثماني في شرك خطتهم أطلقوا عليهم المدافع من كل صوب ، والقنابل المملوءة بالنفط ، والزفت المخلوط بالقطران ، فقتل فرسان رودس كثيراً من المسلمين ، وقدر عدد القتلى بنحو خمسمائة جندى مسلم رحمهم الله في ذلك اليوم ، وأسروا عدداً كبير من الجند العثماني ، وكل من جاء للقتال متطوعاً معهم ، لذلك توقف القتال من جانب الجيش العثماني لقوة مقاومة هذه القلعة ، فتبين للمسلمين ضرورة إزالة هذه الموانع إذا أرادوا دخول هذه القلعة ، وبدون إزالة هذه الموانع فإنه لا يمكن للعثمانيين هذا الفتح والتوجه نحوها(١) .

لذلك توقع السلطان أن يطول حصار هذه القلعة ويلزمه البقاء في فصل الصيف والشتاء ، لأن غرض السلطان الأساسي هو فتح جزيرة رودس مهما كلفه الأمر ، ولو مكث هذا الفتح بضع شهور أو سنين . لأن الهدف الأول هو خلاص المسجونين فيها من السجن ، والأمر الثاني تأمين طريق البحر أمام الملاحة الإسلامية العثمانية بين ولاياتها لنقل تجارتها ونقل الحجاج إلى الأراضي المقدسة وهو الأهم .

فأمر السلطان بتعمير قلعة رودس القديمة الواقعة في منطقة آده ، ويقال لها بالتركى (اسكى رادوس) أى رودس القديمة ، لأن فرسان القديس يوحنا أول من سكن بها ، وبنوا هذه القلعة أولا في (آده) ، في مكان مرتفع ، وفوق مسطح مكشوف الأطراف من جهاته الأربع وأطراف هذه القلعة تحفها في الفصول الأربعة أنوا ع من الخضروات والكرم وأشجار النخل والنارجين وغير ذلك من الأشجار المثمرة وغير المثمرة ، وفي نهاية هذه القلعة المكشوفة عينٌ جارية لذيذة ألذّ من طعم السكر تجرى بأمر ربها تعالى ، وهواء هذه القلعة

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، الورقات ١٣٠ ب ، ١٣١ أ ب ، ١٣٢ أ ب ، ١٣٣ أ ، ١٣٤ ب ، ١٣٥ أ .

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .

معتدل في كل الفصول الأربعة[١] ، حتى انتقلوا منها إلى قلعة جزيرة رودس المشهورة التي صممت لحفظ أموالهم وأولادهم ، وكمعقل لقتال المسلمين منها كما سبق أن أشرت ، فامتثلوا لأمر سلطانهم ، وباشروا العمل في تعميرها في شهر رمضان .

ولما كان تعمير وترميم هذه القلعة والأبدان والقلل والبيوت يحتاج إلى لوازم البناء من جص ورمل وأحجار وعمال بناء ، فقد تم تأمين ذلك بسرعة مذهلة للعقل ، وبدأوا العمل بها في الثلث الأخير من شهر رمضان سنة ٩٢٩ هـ بكل جد ونشاط حتى انتهوا من استكمال بناء وترميم تلك القلعة في أواخر شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ[٢] .

عند ذلك داخل فرسان رودس الخوف وشعروا بالضعف فكتبوا إلى ملوكهم يعرضون عليهم أحوالهم وعدم قدرتهم على حرب المسلمين في ثلاث نقاط هي :

أولاً : « انظروا في أحوالنا ولا يستبعد أن نأتي إليكم كلنا حتى لو قتلتمونا ، وهذا أكرم لنا لأن القتل على أيدى العثمانيين قد يحدث لنا ولأولادنا وأزواجنا لحربنا معهم من أول شهر رمضان إلى آخر شهر ذى الحجة فتركنا النوم في الليل والنهار ، فالسهر والخوف وقلة الأكل والشرب لم يُبق لنا قدرة على المشي والكلام ، فكيف الحرب والقتال مع المسلمين العثمانيين ؟ .

ثانياً : إن الغرض من الحرب مع المسلمين هو قتلهم جميعاً وتصفيتهم وهذا من المحال لأن من يُقتل من المسلمين يأتى عنه البديل القوى وليس للمقتول منا بديل أصلا سواء كان قويا أم ضعيفاً ، وبقتل المسلمين لنا يوماً بعد

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ١٤٠ أ ، ١٤١ أ ب .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ١٤١ أ ب ، ١٤٢ أ ب .

يوم تتناقص أعدادنا حتى تخلو القلعة منّا ويأخذ العثمانيون أموالنا وكل ما نملكه لقمةً سائغة وهذا لا نقبله .

ثالثاً : أن الغرض من الحرب والقتال مع العثمانيين هو حفظ القلعة والأولاد والأزواج ، وكذلك منعهم من هدم القلعة والدخول إليها ، وهذا ساقط ومستحيل لأن أحمد باشا أزال جميع الموانع الخارجية ، ولم يبق إلاّ الطبقة الداخلية من القلعة التي قطعها من مبناها ومن طرفيها طولا ، وأزال التراب المملوء بين الطبقتين ، وشرع الآن في هدمها . وبعد هدم هذه الطبقة الداخلية سيدخل المسلمون العثمانيون إلى القلعة ، ويستولون على الأموال وكل الممتلكات والأولاد والأزواج ، ويقتلون الرجال ويكسرون الأصنام أي أنه ليس لنا مفر إلى غير هذه الطرق الثلاثة ، إما الفرار من القلعة ، أو القتل على أيدى المسلمين ، إو تسليم القلعة إليهم » وقد أجمعوا جميعاً على تسليم القلعة للسلطان العثماني وهو القول الثالث والأخير بقولهم « إذا كان الموت محتملاً بالتسليم ، فإن احتمال الخلاص من الموت وارداً لدى السلطان بتسليم القلعة »[1].

لذلك طلب الفرسان من ملوكهم رأياً صحيحاً وجواباً شافياً عن هذه الأزمة ، ولما كان عرض الفرسان صادقاً وسؤالهم وارداً ومعقولاً ، ولم يجد ملوكهم جواباً يردّون به على سؤالهم وسبباً لخلاصهم من أيدى المسلمين ، بكى الفرسان وملوكُهم بكاءً شديداً ، فقال الملوك لجنودهم الفرسان : الرأي هو عرض أمركم على (السنجوان) أى المعبد الخاص بالكفار ، وبعد أداء طقوسهم المشبوهة في هذا المعبد ، طلبوا الاستعانة من أصنامهم ، فاندس أحد الرهبان المجرمين وراء أصنامهم ، وقال لهم علية لعنة الله والناس أجمعين إلى يوم الدين « لا تحزنوا ... من أن يكون للمقتول منكم بدل لأنه يجيء إليكم معين

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقات ، ١٤٣ أ ب ، ١٤٤ أ ، ١٤٥ أ ب .

قوى ، وبدل صحيح من عسكرنا في العشرة الأواسط من المحرم عند دخول الترك إلى القلعة لأن لنا جنود كثيرة عددها أكثر من عدد عسكر سلطان سليمان خان ... ومن عدد الأنفس وعدد الرمل والأحجار والأشجار ... وهذه الجنود مطيعة لأمرنا متفرقة في ربع مسكون الأرض ... هذه الجنود ساكنة في جزيرة من الجزائر فلابد من قدومهم حتى يقفوا معكم لصد الهجوم العثماني ، ثم يقول شيطانهم : ولا يمكن أن أرسل لهم فلابد أن أذهب إليهم بنفسي في منتصف الليل والترك نيام ويأتون عند دخول الترك القلعة ... يقاتلون ويحاربون إلى جانبكم ويكون الترك مغلوبين على أمرهم منهزمين أمام هذه القوة ليرحلوا من حيث أتوا » .

ولما سمعوا ذلك من شيطانهم المندسين من وراء أصنامهم صدّقوا الخبر واعتقدوا أنهم سيهزمون المسلمين ، وعلى أيديهم هلاكهم بجنود سحرهم الموعودة في العشرة الأواسط من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ[1] .

ومهما تكن صحة هذه الرواية فإن فتح القلعة أصبح يتوقف على دفع أو هدم هذه الموانع كما أسلفنا من قبل ، إلاّ أن الدولة لا يمكنها دفعها من فوق الأرض خوفاً من مدافع القراصنة ، لذلك شرع المسلمون في إزالة هذه الموانع من تحت الأرض بشق الخنادق العميقة داخل الأرض من تحت القلعة التي قطعها أحمد باشا وجنوده بالفأس، وثقبوا الأسوار حتى يصلوا إلى بيوت القراصنة عن طريق الأنفاق فاكثروا من شق الأنفاق للوصول إلى الهدف المنشود حتى جعلوا منها طرقاً متعددة وواسعة ، وجمعوا تراب هذه الأنفاق في أطرافها ، وجعلوا منه قللاً شاهقة الارتفاع وساتراً لحفظ العمال والجنود الذين يحفرون هذه الطرق من مدافع فرسان القديس يوحنا ، ومن هذه القلل الساترة ضربوا الكفرة الذين شاهدوهم في القلعة بالمدافع ، فقتلوا أعداداً كثيرة منهم ، وعن طريق هذه الخنادق انطلق المسلمون إلى بيوت القراصنة الفرسان .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٤٦ أ ، ١٤٨ ب ، ١٤٩ أ ب ، ١٥٠ أ ، ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

ولما رأى الفرسان ذلك أُحبطوا إحباطاً ذريعاً ، ولم يستطع أحداً منهم مقاومة المسلمين ، فخرجوا من بيوتهم خوفاً ومالوا إلى طرف (لمان)(١) ، وهو ميناء مدور عظيم كالحوض على ساحل البحر ، وكان هذا الميناء حصناً حصيناً محفوظاً بالطرادات والسفن الحربية العديدة ، ويعتقد أهل رودس في قوة تحصينه وأن المسلمين لا يستطيعون الوصول إليه ، لقلله وبروجه العالية ، إضافة إلى بوابته الخاصة التي لا يمكن دخول هذا الميناء إلاّ عن طريقها فقد ضربوا عليها سلسلة عظيمة من حديد(٢) .

وقد زاد هذا الأمر تصميم السلطان سليمان الأول القانوني على تدمير قلعة رودس التي حمت طويلاً الحشد الهائل من القراصنة من المسيحيين الذين طالما هاجموا الملاحة العثمانية(٣) . وحتمت تلك الأسباب السياسية وموقع الجزيرة الهام على السلطان احتلال رودس ومواجهة ستين ألف مدافع رابطوا دفاعاً في أقوى القلاع وأمنعها(٤) .

أما أوربا فإنها بعد أن تهكمت طويلاً في حربها مع الهابسبورج أصبحت مستعدة لتقديم المدد من أى نوع إلى رودس ضد العثمانيين ، أما السلطان فإنه كثف الضغط والحصار على رودس أسبوعاً بعد أسبوع مستخدماً كافة الوسائل المتاحة له من نيران المدفعية ، ومن شق أنفاق تحت الأرض ومن هجمات متلاحقة(٥) . وقد قرر أحمد باشا ألا يستعمل في الوقت الحاضر إلاّ الآلات الحربية والمدفعية حفاظاً على الجند العثماني(٦) .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ١٣٥ ب ، ١٢٦ أ ب .
، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٢) القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٤٢ .

(٣) - L. S. Stavrianos, Op. Cit., P. 73.

(٤) - A. J. Grant A history of Europe from 1494 to 1610. Methuent and Coltd London, P. 214.

(٥) - L. S. Stavrianos, Op. Cit, P. 73.

(٦) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٧ .

ويعنى هذا أن الحرب كانت تعتمد على انفاق يحفرها أهل الجزيرة لنقض الأسوار والأنفاق التي يحفرها العثمانيون المحاصرون والمهاجمون للجزيرة لتعطيل ما يراد به نقض الأسوار ، ويتخلل ذلك تبادل إطلاق المدفعية بين المتحاربين ، وهجوم عظيم عثماني يقابله دفاع باسل من الفرسان(١) .

وفي الوقت نفسه هجم بيرى باشا بمن معه من الجند لرفع بعض الموانع الخارجية التي ظنها أنها ستعرقل عملية الفتح للجزيرة ، فمال إلى طرف لمان التي بها سفن الفرسان ، وأقام بجوار الخندق المقابل لقلعتها قلةً من التراب جعل ارتفاعها أكثر من ارتفاع قلعة القراصنة التي يحتمون فيها ، بحيث كان بيرى باشا ينظر من هذه القلة إلى داخل القلعة وبيوتها وطرقها حتى أنه أصبح يرى من يمشى فيها ، ويستطيع ضرب الكفرة الظاهرين في القلعة والأبدان .

وبعد أن فرغ بيرى باشا من تشييد هذه القلة شرع في دفع المانع الأول وهو الخندق بكل سهولة ويسر وذلك بشقه الأرض من القلة المذكورة إلى الخندق، ومن الخندق إلى القلعة، وقدر هذا الشق بعمق قامة الإنسان ونصفه ، ثم جمع ترابه ، وجعله في طرفي الخندق ، بحيث أصبحا كالجبلين العاليين وذلك لحفظ الجند العثماني من مدافع وقنابل فرسان القديس يوحنا . وقام بيرى باشا بشق طريق آخر واسع تحت الأرض يوازى الطريق سالف الذكر وسقفه بالألواح والأشجار والأخشاب الصلبة وكساه بالتراب فأصبح نفقاً ، وبعد الفراغ من هذا النفق أو الطريق ، دخل المسلمون منه إلى القلعة المتصلة ببيوت القراصنة بلا خوف من مدافع وقنابل القراصنة الكفرة ، ثم قاموا بقطعها من أساسها من ثلاث مواقع بالفأس ، وجعلوا لكل واحد من هذه المواقع أو المواضع الثلاثة بابا واسعاً(٢) .

---

(١) حسين حبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ، ١٣٧ أ ب ، ١٣٨ أ ب .

ومن هذا الطريق المستور تحت الأرض اشتغل الجند العثماني بدفع بعض الموانع التي كانت سبباً في تراجعهم عن الفتح عدة مرات ، بكل يسر وسهولة ، وهذه الموانع هي القلتان التي كانت في يمين القلعة وشمالها ، والتراب المملوء بين طبقتي القلعة المقطوعة يميناً وشمالاً ، لتسهيل طريق الجند ، الذي صوبوا مدافعهم لهدم القلعتين ، وقد استطاع الجنود العثمانيون قتل الحرس الحافظ لهاتين القلتين .

وبعد أن أتم العثمانيون هدم هاتين القلتين زال خوف المسلمين العثمانيين من هؤلاء القراصنة ، ثم بعد ذلك توجه الجند العثماني صوب ساحل (المان) التي كان يرسوا فيها أسطول فرسان القديس يوحنا والتي مالوا إليها من قبل للاحتماء بها، كما سبق أن ذكرت ، ظناً منهم أن جند الدولة العثمانية لن يصل إليهم وهم بها لقوة تحصينها ، فهدموا بعضاً من هذه الموانع حتى أصبحوا قريباً من الدخول إلى القلعة التي كان يحتمى بها القراصنة[١] .

بيد أن أحمد باشا استكمالاً لهذا الحصار والفتح ، وتنفيذاً للنصح قام بقطع الطبقة الخارجية للقلعة من جانب البر وفصل طبقة القلعة الخارجية المتصلة ببيوت القراصنة من مبناها الأساسي بالفأس ، وحرق الطبقة المقطوعة ثم هدمها ، وأزال التراب المملوء بين الطبقتين ، وشق من تحت القلعة التي فصلها من مبناها عن قلاع الكفرة طرقاً متعددة دخل منها إلى بيوت الكفرة بلا خوف من مدافعهم وقنابلهم وسلاحهم النارى الذي مثل أهم الموانع لدخولها ، وطمر بعض خنادقها المهمة لسلامة دخول جيشه .

وبهذا العمل الجرىء استطاع أحمد باشا دحر العدو الذي أصبح عاجزاً وغير قادر على الدفاع عن نفسه ، فتقهقر إلى الوراء لما أصابه من ضعف وخوف وهلع من الجيش العثماني الإسلامي[٢] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٣٩ أ ب .

(٢) رمضان : المصدر السابق ورقة ١٣٩ ب .

، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

ولما شاهد فرسان القديس يوحنا هذا الهجوم ، وقد كانوا ينتظرون المدد من أوربا ضد السلطان، ولما انقطع هذا الأمل طلبوا الأمان لأنفسهم ولأولادهم، وطلبوا تسليم القلعة للسلطان في ٢٠ من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ(١) ، وبما أن تسليم القلعة كان متوقفاً على عفو السلطان عنهم فقد قبل السلطان ذلك ، وأمنهم ، واستقبل وفدهم المكون من (الفلار وصابونجى) بتنسيق أحمد باشا ، ثم أكرمهم وخلع عليهم الخلع السلطانية معتقداً صدق قولهم وعهدهم(٢) .

وأصدر السلطان بعد ذلك أوامره إلى الأساطيل والجيوش العثمانية بالكف عن الحرب ، وأرسل إليهم زغرجي باشا رئيس الانكشارية لعقد شروط التسليم(٣) ، إلاّ إن فرسان القديس نقضوا العهد مع السلطان بعد عودتهم إلى القلعة ورفضوا دخول العلم العثماني في اليوم المحدد(٤) ، لأنه في ذلك الأثناء وصلت إلى القلعة عدد من السفن من مختلف دول أوربا ، وكان وصولها في هزيع الليل لمساعدة الفرسان في حربهم ضد الدولة العثمانية ، فلما رأوها ظنوا أنهم تقووا بها واعتقدوا أنه في إمكانهم صد أبطال العثمانيين ، فعادوا إلى المقاومة مرة ثانية(٥) ، وواصلوا أعمالهم الحربية واستأنفوا حفر الخنادق وبناء ما تصدع من الجدران منتهزين فترة الهدنة وتوقف القتال مع السلطان أملاً في بناء قوتهم من جديد ، والاستعداد للقتال مع العثمانيين ، وبعد أربعة أيام من نقض العهد باشر القراصنة القتال مع المسلمين ، فسقط أول شهيداً من

---

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٧١ .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٥٧ أ ب .

(٣) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .

، القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

(٤) رمضان : المصدر السابق ، مخطوط ، ورقة ١٨٥ أ .

(٥) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٥٣٤ .

، القرماني : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

المسلمين غدراً وتلاه آخرون[1] ، لذلك استأنف المسلمون القتال من جديد ضدهم[2] ، وشدد السلطان سليمان أوامره على أركانه بقتل رجالهم ورهبانهم دون التعرض للنساء والصبيان .

قام المسلمون بهدم القلة القريبة من أحمد باشا المذكورة ، وقتلوا كل من فيها من القراصنة غير الرجلين اللذين وفدا على السلطان ، فقد طلبهما أغا باشا من أحمد باشا وقطع أنفهما وأذنيهما ويديهما ، أي مثل بهما وعلق ما قطعه إلى عنق كل منهما ليكونا عبرة لمن اعتبر ولمن لم يحترم المعاهدات والمواثيق مع كتاب لرئيسهم في القلعة ، وقال في هذا الكتاب : « ياأيها العدوان والطغيان والرهبان أنتم طلبتم الأمن والأمان من سلطاننا سلطان سليمان خان، وسلمتم القلعة مع الأولاد والأزواج والصبيان ، وأظهرتم التبعية للجندكار[3] ... وعفى الجندكار عن ذنبوكم الماضية بناء على صدق قولكم بالباطل وفرغ عن قتل رجالكم وأخذ أموالكم وأولادكم وأزواجكم وأكسى لهذين الكلبين خلعة فاخرة وأرسل علم الجندكار إلى القلعة ، فمنعتم ... الدخول إليها وأظهرتم المخالفة والعصيان ونقضتم العهد من غير أن يمضى عليه زمان » . وباشرتم الحرب والقتال لذلك تحمَّلوا تبعات عملكم وما يفعله السلطان بكم من عقاب مقابل هذا النقض والجحود مع السلطان[4] .

كل هذا والحرب سجال بين الطرفين حتى وفق العثمانيون إلى إحداث ثغرة في أسوار قلعة الفرسان ، وتحطيم أربعة من حصونها كما حاولوا في غضون ذلك الشهر أربع محاولات لاقتحام صفوف المدافعين إلى قلب المدينة ،

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٥٨ أ ب .

(٢) القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) الجندكار : السلطان .

(٤) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ١٥٩ أ ب .

فلم يستطيعوا اقتحام هذه الحصون ، فقتل أعداد كثيرة من الطرفين ، سالت على أثرها دماءٌ كثيرة ، وجرت كالأنهار ، ثم واصل العثمانيون هجومهم القويّ لدخول الحصون مراراً وتكراراً بكل شجاعة ، وكان قراصنة رودس يقابلون هذا الهجوم الشديد بدفاع أقوى وعزم كالحديد لضرب المدافع العثمانية وإبطال مفعولها ، فكان يظهر أثره يوماً بعد يوم على القوة المسلمة العثمانية ، فأخذ قادة العثمانيين يتجنبون الإسراف في دفع جنودهم إلى الحرب حفاظاً على أرواحهم ، وأخذوا يعتمدون على حفر الأنفاق صوب القلعة وضربها بالمدافع ، واستطاع العثمانيون بهذه الطريقة الاقتراب من الأسوار رويداً رويداً حتى أصبحت مدافعهم قريبة من الهدف المطلوب[1] .

وقد أيَّدَ هذه الرواية الشيخ يوسف المقدسي الحنبلي فقال : « أن السلطان لما توجه لحصار جزيرة رودس ، أخذ ما حولها من القلاع والحصون ، وأحاط بها براً وبحراً ، وكان حصنها من أقوى الحصون ، هابه المسلمون لعدم استطاعتهم الوصول إليه ، ولكنهم احتالوا للوصول إليه » كما قال : « تأخرت عساكر البر قليلاً وساقوا الرمل والتراب أمامهم بحيث سار كالجبل وتترسوا به وساروا يقدمونه قليلاً قليلاً إلى أن وصل التراب إلى الخندق وسار الكفار تحت المسلمين فرموهم بالمدافع والنيران »[2] .

وقد تحدث عن ذلك النهروالي المعاصر للسلطان سليمان الأول حيث قال : « فتأخرت عساكر البر قليلاً وأمروا بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وتترسوا به وصاروا يقدمونه قليلاً قليلاً إلى أن وصل التراب الخندق وامتلأ به ، وقرب من جدار الحصار وأرتفع عليه وصار الكفار ... تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون »[3] .

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٢) قلائد العقيان في فضائل آل عثمان ، مخطوط ، ورقة ٦٤ أ .

(٣) الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ٢١١ .

كما أيدهم في ذلك الشيخ محمد بن أبي السرور البكرى فقال : « فتأخرت عساكر البحر قليلاً وأمروا بسوق الرمل والتراب وتترسوا بها وساروا يقدّمونه قليلاً قليلاً إلى أن وصل التراب إلى الخندق وامتلأ به » .

ثم قال : « وأول من حمل في ذلك مولانا السلطان رحمه الله ، وسار الكفار تحت المسلمين يُصابون ولا يصيبون ، ورموا عليهم إلى أن عجزوا وايقنوا أنهم مأخوذون »(١) .

فقام أهل الجزيرة ، وتصدوا للهجوم العثماني تلو الهجوم ، لأن استعدادهم كان مبكراً لهذا الحصار بقوة ضاربة أعدت لمواجهة حصار طويل الأمد من الدولة العثمانية(٢) ، واستمرت هذه المقاومة نحو ثلاثة أشهر باصرار فاق الحد من القوة والبأس ، حتى تضايق الجند العثماني ، وفقد كثير من رجاله ، لذلك أمر السلطان جنوده للتغلب عليهم بإطلاق المدافع على القلعة ، فأطلق عليها حوالي (٢٢٠) ألف قذيفة من مدافع الهاون دمرتها وأحرقتها(٣) ، وقد كان للجواسيس الذين أرسلتهم الدولة العثمانية إلى جزيرة رودس قبل عدة سنوات دور كبير ، فقد كان الجاسوس الموجود بداخل القلعة يخبر الجيش العثماني بالأماكن الحساسة في القلعة بواسطة الضوء ليلاً ، وبعد عدة أسابيع استطاع الفرسان من القبض عليه ، فمزقوه إرباً إرباً ، كما لقى ثلاث جاسوسات تركيات كنّ في القلعة هذا المصير .

ولم يبحن بأسماء الجواسيس الآخرين الموجودين في رودس ، وقد تظاهر أعضاء شبكة الجاسوسية العثمانية من رجال ونساء بالمسيحية حتى لا يُكشف أمرهم ، ويقال أن الفارس الأسباني (أندريه دامرال) السابق ذكره ، حامل (الصليب الأكبر) كان جاسوساً عثمانياً(٤) .

---

(١) المنح الرحمانية في الدولة العلية ، مخطوط ، ورقة ١٥ أ .

(٢) - Stanford Shaw : Op. Cit., P. 88

(٣) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .

(٤) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ .

وعن طريق هؤلاء الجواسيس علم العثمانيون بنفاذ مؤن وذخيرة قراصنة جزيرة رودس المحاصرين[١] . فتمكن أنصار الدولة العثمانية من اليهود والنساء المسلمات الذين أتخذهم القراصنة عبيداً لهم من إرشاد قوات السلطان إلى دخول الجزيرة لإجبارها على الاستسلام[٢] .

وعندما رأى السلطان سليمان الأول أن المدينة قد أصبحت على وشك السقوط عرض على أهلها الصلح تجنباً لمزيد من قتل الأرواح[٣] .

وبعث إلى رئيسهم الأكبر « فيليب دى ليل آدم » برسالة بين له فيها أنه إذا سلم المدينة في خلال ثلاثة أيام فإن الحامية يمكن لها الإنسحاب بحرية ، وفي حالة رفضها الاستسلام فإنه لن يسلم أحد « حتى القطط » ، ولما كان مجلس الرهبنة يفضل الاستسلام لنفاد مدخراته من البارود والذخيرة ، فقد أجاب بأن الأجل قصير جداً لا يخول له استشارة السكان ، فأمر السلطان سليمان بإعادة قذف المدافع ووضع الألغام ، وحاول دى ليل آدم ــ وهو الذي يسمونه الأتراك « ميغالى مستورى » ــ أن يثنى السلطان سليمان القانوني عن قراره بطريقة أخرى ، فبعث إلى معسكر العثمانيين فارسين يحملان رسالة قديمة من السلطان بايزيد الثاني جد السلطان سليمان إلى الرئيس الأكبر ضامناً ومتعهداً لهيئة الرهبنة استبقاء رودس ، وذلك لتذكير الدولة العثمانية بما تعهد لهم به السلطان بايزيد الثاني مقابل إبقاء أخيه جم الذي لجأ إلى الفرسان آنذاك كما سبق ذكره . فكان جواب أحمد باشا أن مزّق الرسالة وأرسل قطعها مع أسيرين نصرانيين إلى دى ليل آدم رئيس الجزيرة ، الذي قرر في نهاية الأمر الاستسلام ، وقد انقطع أمله ويئس من بلوغ النجدة التي طالما طالب بها دول أوربا[٤] .

---

(١) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٧٤ .

(٢) - Stanford Shaw : Op. Cit., P. 88

(٣) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٤) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٧ ــ ٨٨ .

، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٢ .

وأصبح هو وكبار فرسانه مكرهين على هذا العمل ، لأنهم كانوا يعلمون أن مدينتهم مهما طال أمد الدفاع عنها فإنها لا محالة سوف تسقط لفرض الحصار عليهم من كل جانب من قبل الدولة العثمانية[1] .

وقيل في ذلك الشأن أنه لما عجز رئيس رهبنة القديس يوحنا عن حرب السلطان ، كما رأينا كتب ورقة وربطها في عود نشاب ورماها بالقوس ، فوقعت في حجرة الوزير ، وكان مضمون هذه الرسالة أن رئيس جزيرة رودس يريد الأمان لنفسه وماله ، فأرسلوا تلك الرسالة إلى الوزير الذي أدخلها إلى السلطان ، فلمّا قرأها قال للوزير « أرسل إليه إن كان صحيحاً ما يقول ويريد الأمان فقد أعطيته الأمان »[2] .

ويقول صاحب كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية : أنه أمام كثافة إطلاق المدافع العثمانية المنهمرة على قلعة رودس والتي توجد بعض قللها حتى الآن في الجزيرة ، ويستغرب من رآها لضخامتها ، فقد أعيت الحيل رئيس الرهبنة (دى ليل آدم) ونفذت مؤنه وذخائره ، فأرسل أثنين من رهبانه إلى السلطان في ٢ من صفر سنة ٩٢٩ هـ (٢١ من شهر ديسمبر ١٥٢٢ م) ، يطلب منه السماح باخلاء الجزيرة في مدة أثنى عشر يوماً بشرط أن تبعد الجيوش العثمانية المحاصرة للقلعة مسافة ميل من كل الجهات حتى لايحصل للمحصورين ضرر عند خروجهم فقبل السلطان ذلك[3] .

ولكن هناك أمر آخر ساعد على تعجيل طلب الصلح وهو عندما رأى قراصنة رودس فرسان القديس يوحنا رسوليهم للصلح اللذين وصلا إليهم مقطوعي الأطراف لمخالفتهم المعاهدة ونقضهم للصلح السابق الذي أبرم بينهم وبين العثمانيين ، واستئنافهم الحرب ضد الدولة كما أسلفنا سابقاً خافوا خوفاً

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٢) ابن زنبل : آخرة المماليك ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، ص ١٦٥ .

(٣) محمد فريد بك : ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

شديداً وأجمعوا على تسليم القلعة إلى السلطان مهما كان الأمر ، لذلك رافقوا الرسولين الممثل بهما إلى رئيس القلعة (دى ليل آدم) وقرأوا عليه المنشور الذي علقه أغا باشا في عنقهما من الرأس إلى القدم ، وعندما سمع رئيس القلعة مضمون هذا المنشور ، اضطرب حاله وتغير لونه وتلعثم في الكلام ، ولم يستطع النطق مدة ساعة للخوف الذي أصابه من جراء هذا النقض للعهد مع السلطان العثماني بعد أن حاز على العفو والأمان في مقابل تسليم القلعة كما أشرنا من قبل[١] .

وخاصة أنه كان هو السبب في نقض العهد مع السلطان وعدم دخول العلم العثماني للقلعة مع التسليم في الموعد المحدد بالعشرين من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ ، فهذا الرئيس هو الذي قام بخرق الاتفاق والعهد الذي أبرم بين السلطان سليمان الأول ومندوبيه الممثل بهم آنفاً. ولما عرف أغا باشا ذلك أرسل إلى هذا الرئيس (دى ليل آدم) رسالةً شديدة اللهجة قال فيها : « يا رئيس أعداء الدين ويا رئيس الناقضين للعهد ، ويا رئيس المانعين من دخول علم الجندكار إلى القلعة إن لنا بعد فتح القلعة إن شاء الله تعالى جبراً وقهراً بالغلبة عليكم لا بالحيلة والمكر ... لم يفعلها ولم يسمعها أحد من الإنس والجن إلى يومنا هذا ، ولم يكتب في كتب التواريخ العثمانية ... قالوا يجب علينا قتل هذا الكلب بأنواع العذاب ، بإخراج أسنانه الخبيثة بالأحجار الصلبة ، وبسلخ جلده الخبيث من الرأس إلى القدم ، وبقطع الأنف والأذن واللسان من أصله بالمنشار الكال[٢] وبإخراج عينيه بالمسمار ، وبقطع مفاصل اليدين والرجلين جزاءاً فجزءاً بالسكين الكال وبالصلب بعده من عنقه ... » في ميدان القتال ليكون عبرة لجميع القراصنة الكفار ، وحتى يعتبر كل من أراد نقض العهد مع الدولة ، لأن نقض العهد مذموم في جميع الأديان[٣] .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١١٢ أ ب .

(٢) الكال : غير الحاد وهو الثالم .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، الورقات ، ١٥٩ ب ، ١٦٠ أ ب ، ١٦١ أ .

وبعد وصول هذا الخطاب أحسّ رئيس الرهبنة بالخطر المحدق به من كل حدب وصوب ، وخاصة أنه هو المسئول عن نقض العهد كما تقدم ، لذلك جمع كبار رجاله من فرسان القديس يوحنا ، وطلب المشورة والرأى للخروج من هذا المأزق، فقالوا بصوت واحد الرأى هو تسليم القلعة إلى السلطان لا غير والخلاص من الموت، وهذا متوقف على عفو السلطان إذا عفا عنا، لأننا طلبنا منه العفو والأمان على الأنفس والأموال والأولاد مقابل تسليمنا للقلعة فوافق وأخلعنا خلعاً سلطانية بناء على صدق قولنا وعهدنا إليه ، وقد نقضنا العهد ، وشرعنا في الحرب والقتال فقتلنا نفوساً كثيرة بالغدر رغم التزامهم بالشروط بناء على أمر سلطانهم بوقف القتال معنا ، ظناً منا باستمرار الإمداد من أوربا واعتقاداً بصدق كبير السحرة في المعبد (السنجوان) الذي وعدنا بالجنود الكثيرة والنصر على العثمانيين في العشرة الأواسط من شهر المحرم سنة ٩٢٩ هـ ، وطردهم من الجزيرة ، وقد انتظرنا في اليوم الموعود ونحن نقاتل الدولة العثمانية ، لعله يأتى بجنوده المزعومة، وقد صبرنا بما فيه الكفاية ، ولم يبق لنا احتمال على الصبر على قتال المسلمين(١) ، لأنه لم يبق لنا من الآلات الحربية شيء أصلاً ، وإذا كان هناك بعض السلاح فأننا لا نستطيع حفظ القلعة والخلاص من يد المسلمين لأن الجيش العثماني قد أحاط بالقلعة من كل جانب(٢) . ولم يكن لنا حيلة من خلاص المسلمين العثمانيين غير تسليم القلعة إلى السلطان حتى يعفوا عنا .

ولما رأى رئيس القلعة إجماع الفرسان على تسليم القلعة وأنه لا رجوع لديهم عن هذا الحل فقد وافقهم على تسليم القلعة للسلطان(٣) .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ١٦١ ب ، ١٦٢ أ ب .

(٢) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ١٦٢ ب .

، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ١٦٤ أ .

، يوسف آصاف : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

عندئذ سعى فرسان القديس يوحنا إلى الإسراع في إجابة السلطان إلى الصلح والصلح خير من الابطاء ، وعلموا أن الرضوخ إلى سلطة العثمانيين معناه حفظ كيان جماعتهم وعدم انفراط عقدهم ، وغاية ما فيه هو خروجهم من الجزيرة سالمين إلى حيث يريدون ليتخذوا موطنا جديداً بعيداً عن العثمانيين وضماناً لرضاهم ، وإن في استمرار المقاومة ضدهم حتى يتغلبوا عليهم معناه التضحية بأنفسهم على مذبح العناد ، فضلاً عن تعريض سكان الجزيرة للقتل ولساير فظائع الحرب وويلاتها فقرروا تسليم الجزيرة[١] .

فأرسلوا إلى السلطان سليمان واحداً من الفرسان ومعه إثنان من كبار أهل الجزيرة وعرضوا عليه الشروط فقبلها ، وخلاصتها أن ينسحب فرسان القديس يوحنا من الجزيرة في خلال أثنى عشر يوماً ، تاركين خلفهم خمسين من الرهائن نصفهم من الفرسان والنصف الآخر من سكان أهل الجزيرة لضمان وتحقيق الانسحاب على أن لا يقترب الجيش العثماني من القلعة أكثر من ميل[٢] . لضمان سلامة المنسحبين ومن المفيد أن نذكر بنود الاتفاق التي وافق عليها الطرفان والتي استسلم بموجبها الفرسان وانسحبوا من رودس سنة ٩٢٩ هـ (ديسمبر ١٥٢٢ م) هذه البنود هي :

أولاً : للفرسان مغادرة الجزيرة بسائر متاعهم ومتعلقاتهم في مدة أقصاها إثنا عشر يوماً من تاريخ تحرير الشروط ، على سفن من قبلهم ، فإن لم تف بحاجتهم ، فعلى الدولة العثمانية تقديم سفن أخرى لهم يسافرون عليها[٣] ، وقد اعترض الوزراء على هذا البند وحذّروا السلطان من

---

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٢ .
(٢) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٨ .
(٣) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ١٦٥ ب ، ١٦٦ أ .
، - Stanford Shaw : Op. Cit., P. 88.
، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .
، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية، مطبعة أحمد احسان، ١٣٢٧ هـ، جـ ١، ص ١٦٧.
، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥١ .
، يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .

اعطائهم الأمان لأنه لم يبق لهم منعة ، وأموالهم كثيرة ، وإن خرجوا بها حصل منهم التقوى على المسلمين ، وجمعوا الجند من النصارى وعادوا إلى أذى المسلمين ، فلم يجبهم السلطان إلى ذلك[١] .

ثانياً : أما سكان رودس الأصليين فيخيرون ومن يريد منهم البقاء فهم من رعايا السلطان ولهم حرية العبادة والاعتقاد وإقامة الشعائر الخاصة بهم وألاّ تدنس كنائسهم أو معابدهم ولا تهدم بيعهم ، وأن لا يحرم الأبناء من آبائهم .

ثالثاً : ألاّ يضرب على الأهالي الذين آثروا البقاء في الجزيرة ضرائب لمدة خمس سنوات من تاريخ الفتح[٢] .

فوافق السلطان على شروط قراصنة رودس وعفى عنهم جميعاً مقابل تسليم القلعة مع ما لابد منه في القلعة ، ولما وصل خبر عفو السلطان وموافقته على الشروط إلى أهل الجزيرة فرح الفرسان وتبدل حزنهم إلى سرور لأنهم أيقنوا بالقتل جزاءً لما فعلوه من نقض للعهود وقتل للمسلمين طوال تاريخهم الظالم[٣] .

---

(١) الشيخ قطب الدين النهروالي : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ٢١١ .
، محمد ابن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية ... ، مخطوط ، ورقة ١٥ أ .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، الورقتان ، ١٦٥ ب ، ١٦٦ أ .
- Stanford Shaw : Ibid., P. 88.
- L. S. Stavrianons : Op. Cit., P. 73.
، حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٧٣ .
، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .
، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥١ .
، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ص ١٦٧ .
، اندري كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٨ .
، محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ م ، ص ٥٦ .

(٣) رمضان : المصدر السابق ، ورقة ١٦٤ ب .

وكان إمضاء السلطان لهذه الاتفاقية وموافقته على شروط الفرسان دلالة على إعجابه بهم لدفاعهم المستميت ، وتلك دلالة واضحة على شهامة السلطان وتسامحه الإسلامي ، على الرغم من نقض عهودهم معه فقد سمح لهم بالخروج من الجزيرة بأموالهم[1] .

ولكن في ٥ من شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ ، دخل فريق من الانكشارية على الرغم من أوامر السلطان بايقاف الحرب واحتلوا مدينة رودس أثناء الهدنة وعاثوا فيها نهباً وسلباً ، فغضب السلطان وأمر بإيقاف هذا الهجوم مراعاة شروط التسليم ، وعاقب المعتدين ، فأعيد الأمن وعادت السكينة مرة أخرى إلى الجزيرة[2] .

وفي ٧ من شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ ، قام أهل جزيرة رودس بتسليم القلعة للسلطان سليمان الأول ، دون تردد أو تسويف فنصب علم الدولة في ذلك اليوم وفي وقت الظهر على قلة العرب[3] ، وهي أعلى قلة في جزيرة رودس ، دون أن يعارض أي فرد من أهل الجزيرة نصب العلم العثماني .

وقد استجاب الله تعالى دعاء المسجونين وجاء خلاصهم على يد السلطان سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الثاني (الفاتح) ، الذي فك أسرهم وأنعم عليهم فأعطى كل واحد منهم خمسين درهما ، ولم يبق في

---

(١) عبدالحميد ابن زيان بن اشنهو : دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، الجزائر ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ص ١٧٥ .

، - Stanford Shaw : Op. Cit., P. 88.

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .

، حسين لبيب : تاريخ الأرتاك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٥١ .

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

، أحمد راسم : رسم خريطة عثمانلى تاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٣) لأن العرب باشروا فتح القلعة من هذه القلة فسميت باسمهم تكريما لدورهم البطولي في المعارك لتحرير الجزيرة وفتحها .

سجن الجزيرة أحد من المسلمين ، فقد رحلوا إلى أمصارهم وألسنتهم تلهج بالدعاء للسلطان الذي خلصهم من العذاب بطول العمر والثواب والتوفيق من الله في كل ما يصبوا إليه خدمةً للإسلام والمسلمين[١] .

وقد استشهد من المسلمين في تلك الحرب من العثمانيين حوالى خمسة وعشرون ألف جندى[٢] .

أما السلطان سليمان الأول فقد طلب مقابلة رئيس فرقة القلعة (فيليب دى ليل آدم) قبل أن يغادر الجزيرة ، فلما مثل بين يديه عزاه عزاءً رقيقاً على ما أصابه وأصاب قومه[٣]. ثم أنعم عليه بخلعه سنية لبسالته وبسالة فرسانه[٤]. بعد أن وقف في الخارج طويلاً في انتظار مقابلة السلطان له لأن حضوره صادفه أول جمعة بعد سقوط الجزيرة ، وكان الوزراء وأعيان الدولة يدخلون عليه في مواكب حافلة للتهنئة بالنصر ، على الرغم من أن ذلك اليوم كان مطيراً فشغل السلطان عنه للأسباب المذكورة ، ولكن ذلك الموقف لم يدم طويلاً حتى أذن له السلطان بالدخول ومقابلته كما سبق ذكره[٥] .

وضمن له مغادرة الجزيرة حراً متى شاء ، وهمس السلطان في أذن صدر الدولة العثمانية الأعظم قائلاً : « إني لشديد الأسف لاضطراري إلى طرد هذا الشيخ من قصره » .

---

(١) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٦٥ أ .

(٢) كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

، أحمد راسم : رسملى وخريطة لى عثمانلى تاريخي ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

(٣) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص٣٥ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٦ .

، يلماز اوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

(٥) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٨ .

وفي ١٣ من شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ (١ من شهر يناير ١٥٢٣ م) ، قدم (فيليب دى ليل آدم) مرة أخرى إلى السلطان ، وقبل يده احتراماً له وأهداه أربع زهريات من الذهب الخالص[١] وشكره على السماح له ولفرسانه بالخروج من الجزيرة دون أذى بسماحة إسلامية لا تصدق[٢] .

وفي منتصف الليل أقلع بحراً ومعه كل من بقى حياً من الفرسان ، وكان عددهم أقل من مائتي فارس و (١٦٠٠) جندى[٣] .

حسب بنود الاتفاق غادر الفرسان الجزيرة وهم يحملون على عواتقهم واجبات الدفاع عن الدين المسيحي ومحاربة المسلمين في جولات أخرى قادمة ، وأيضاً رحل معهم كل من أراد المغادرة من الجزيرة ، قاصدين جزيرة مالطه التي تنازل لهم عنها الملك شارل الخامس[٤] .

والحقيقة أن الذين غادروا الجزيرة من سكانها كان عدداً قليلاً ، وقد حملوا معهم أسلحتهم وكل ممتلكاتهم التي أمكن لهم نقلها ، أما الفرسان فقد حملوا على سفن البابا إلى جزيرة مالطه التي حصنوها تحصيناً قوياً واتخذوها قاعدة جديدة ضد المسلمين في منتصف البحر الأبيض المتوسط[٥] بدلاً من

---

(١) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٨ .
، حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٦ .

(٢) يلمازا اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

(٣) حبيب غزاله بك : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
، اندرى كلو : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٦ .
، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .
، يلماز اوزوتونا : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٥) - Stanford Shaw : Op. Cit., P. 88.

جزيرة رودس التي طردوا منها[١] ، وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على حجاج المغرب والمسافرين ، وهم وإن بعدو عن العثمانيين المسلمين إلا أن أذاهم كثر وزاد فسادهم ، وقد ندم السلطان سليمان القانوني على إعطاءه الأمان لهم ، فأرسل لهم في آخر حكمه حملة بحرية لأخذهم واستئصالهم ولكن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح[٢] . وظلت مالطه تحت حكمهم إلى أن أحتلها نابليون بونابرت عند قدومه إلى مصر في ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)[٣] .

وفي اليوم الثالث عشر من شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ (١ من شهر يناير ١٥٢٣ م) ذهب السلطان سليمان الأول في موكب مهيب إلى كنيسة القديس يوحنا (السنجوان) وهي أكبر كنائس الجزيرة فصلى فيها صلاة الجمعة بحضور الوزراء ورؤساء الجيش والعلماء ، وحمد الله تعالى على هذا النصر ، وبعد ذلك تلا الخط الشريف الذي أذن فيه بجعل هذه الكنيسة جامعاً للمسلمين ، وأعلن ذلك في أنحاء الجزيرة[٤] .

واستطاع السلطان سليمان بهذا العمل البطولي أن يقذف بفرسان رودس بعيداً عن هذه الجزيرة في ٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م[٥] ، بعد أن ظلت تحت حكم الفرسان نحو مائة وخمسين سنة[٦] .

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٠٦ .
، يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٧٤ .
، يلماز اوزوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٦٤ .

(٢) النهروالي : الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، ص ٢١٢ .

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
، يوسف آصاف : المصدر السابق ، ص ٧٤ .
، يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٤) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٦ .

(٥) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، القاهرة ، الناشر دار المعارف ، ١٩٧٢ م ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣ .

(٦) يوسف آصاف : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

ووقع نبأ سقوط رودس على أوربا كالصاعقة ، فعمها الحداد والذهول تحسراً على نهاية الفرسان بالجزيرة المذكورة(١) .

وبهذا أصبح طريق الحج مفتوحاً من جانب البحر لمن أراد أن يتوجه إلى الحج والتجارة عبر البحر الأبيض المتوسط سالما من شرور قراصنة جزيرة رودس(٢) .

وبعد أن فرغ السلطان من فتح الجزيرة كانت هناك بعض القلاع في البحر الأبيض تابعة لها ، فكتب السلطان إلى ملوكها ليسلموا هذه القلاع كما سُلمت حاضرتها رودس وهذه القلاع هي :

١ ـ قلعة كبدرم .

٢ ـ قلعة استنكوى .

٣ ـ قلعة تاخيه لى(٣) .

وشرح لهم أحوال قراصنة فرسان القديس يوحنا وكيف تم تسليم القلعة إلى السلطان ، وعفو السلطان عنهم وعن أخذ أموالهم وأولادهم وأزواجهم ، وقتل رجالهم وملوكهم رغم قدرته واستطاعته على ذلك(٤) ، وقوة حصارها للجزيرة إلاّ أنّ موافقته على شروط استسلام الجزيرة كانت ضاربة في الكرم

---

(١) اندرى كلو : سليمان القانوني ، ص ٨٩ .

(٢) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٦٥ أ .

(٣) هذه القلاع تابعة لجزيرة استنكوى (استانكوى) التي عرفت به عند الأتراك ، وهذه الجزيرة أكبر جزائر ايطاليا في بحر إيجه بعد رودس ، واقعة في مدخل خليج بودروم في آسيا الصغرى وأهم حاصلتها العنب والتين والليمون والبرتقال ، وفيها مياه جارية كبريتية حاره وأخرى جارية عذبه . استولى عليها الفرسان سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م ثم الدولة العثمانية عند فتح جزيرة رودس كما مر بنا ، أشاد فيها الفرسان قلاع وحصون منيعة باقية حتى الآن .
، انظر : حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٦٦ ب .
، أحمد رشيد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخي عثماني ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

فتمكن الفرسان من الخروج من الجزيرة بكل ثرواتهم الشخصية ، كما خفف عن السكان الأصليين الذين آثروا البقاء من الضرائب لمدة خمس سنوات متتالية ، كما كفل لهم حرية العبادة وممارسة طقوسهم ومعتقداتهم[١] .

ولما وصلت خطابات السلطان إلى ملوك هذه القلاع كتبوا له جميعاً بالطاعة وبتسليم قلاعهم ، وكانوا على ما كان عليه كفرة رودس في كل الأحوال[٢] .

ويعنى كل ذلك أن دولة لاتينية (كاثوليكية) من بقايا الحملات الصليبية التي يرجع تاريخها إلى ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م قد اقتلعت وأزيلت من شرق البحر المتوسط ، وهى آخر معقل صليبي قضى عليه المسلمون العثمانيون[٣] .

وباستيلاء السلطان سليمان الأول على هذه الجزيرة استطاع تأمين سفن الولايات العربية والعثمانية بنقل تجارتهم والحجاج إلى الأراضي المقدسة ، وتأمين تحركاتها في شرق البحر الأبيض المتوسط[٤] ، بعد أن ظلت مدة طويلة خطراً يهدد السيادة العثمانية في البحر المتوسط ، وبعد أن لاقت جيوشها مصاعب جمة في حصارها لهذه الجزيرة[٥] .

ثم عاد السلطان بعد ذلك إلى اسطنبول عبر البحر في الثامن عشر من شهر صفر سنة ٩٢٩ هـ / السادس من شهر يناير ١٥٢٣ م ، حيث استقبله أهل اسطنبول بالتهانى والتبريكات معلنين أنه نجح فيما لم يحققه أسلافه[٦] ،

---

(١) - L. S. Stavrianos : Op. Cit., P. 73.

(٢) رمضان : المصدر السابق ، الورقتان ، ١١٦ ب ، ١٦٧ أ .

(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٨٩ .

- Stanford Shaw : Op. Cit., P. 89.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ، نقلها إلى العربية ، محمد ثابت الفندى وآخرون ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ .

(٦) - Aantony Bridge : Op. Cit., P. 76.

كما نجح في تسريح نحو ستة آلاف أسير مسلم كانوا في سجون جزيرة رودس ، وأسكن في هذه الجزيرة عدداً كبيراً من الأتراك العثمانيين الذين قدموا من الأناضول لتطعيم الجزيرة بالعناصر الإسلامية وتخفيف العنصر المسيحي بها لايجاد التوازن بين العناصر ، فأصبحت هذه الجزيرة لواءً بحرياً عثمانياً ، وكان كل الولاة الذين عينوا فيها برتبة لواء بحرى .

ومما يجدر ذكره أن قلعة رودس قاومت الجيوش العثمانية أربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً(١) .

ويعتبر انتصار الدولة العثمانية في رودس تأسيساً ودعماً لقوتها البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط منذ سنة ٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م(٢) ، لحماية الملاحة البحرية الإسلامية عبر البحر الأبيض المتوسط التي أصبحت مؤكدة سواء في هذه السفن التي تنقل البضائع والمسافرين من اسطنبول إلى الشام ومصر والحجاز والعكس ، أو السفن التي تنقل الحجاج إلى الأراضي المقدسة من الأناضول واسطنبول والعكس ، فأصبح شرق البحر المتوسط بحيرة إسلامية آمنة(٣) .

وقد نظم الشيخ محمد بيرم الثاني قصيدة تشتمل على أنموذج من تاريخ هذه الدولة مع أسماء سلاطينها سماها « عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان » نذكر منها ما قيل في السلطان سليمان الأول عن فتح رودس :

---

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

، رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٦٧ أ .

(٢) برنارد لويس : اسطنبول ، تعريب سيد رضوان على ، الطبعة الثانية ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٥ .

(٣) محمد شفيق غربال : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٦١ م ، ص ٧٧ .

وعا شرهم ذو الرأس والبأس والندا	(سليمان) جزاع العدا كأس علقم
قد انتظمت بغداد في سلك ملكه	فصار له أمر العراقين ينتمي
وقد ظهرت آثاره فحديثها	حداة الورى تحدو بها كل موسم
فمنها ويا لله غزوة رودس	تغنّى بها طير الفلا بترنم[1]

وقد زاد فتح رودس من سيطرة الأسطول العثماني على سواحل الأناضول والبلقان والشام ومصر ، كما استفاد السلطان من جزيرة رودس في تطهير بحر إيجه من الجزر والمحطات البحرية التي كان يتخذها البنادقة وغيرهم جيوباً عسكرية لهم[2] ضد الدولة العثمانية . وكان ترك الفرسان في رودس يواجهون مصيرهم أمام الأتراك كان اعلاناً مدوياً للغرب بأن الأسطول العثماني قد غدا صاحب السيادة في بحر إيجه[3] . وتحولت جزيرة رودس من دار حرب إلى دار سلام ، بهذا الفتح المجيد ، بعد أن حررها السلطان سليمان الأول « القانوني » من الرجس والأوثان ونشر بها المساجد والمدارس لحفظ القرآن الكريم[4] ، ونصب فيها القضاه لإقامة العدل والمساواة ، ونشر السلام بين ربوعها وقرر معاملة الذميين كما كان يعاملون في عصر صدر الإسلام على مختلف مللهم العقدية وجنسياتهم حتى أسلم البعض ودخل الإسلام طائعاً مختاراً لسماحة الإسلام[5] .

(١) محمد بيرم الخامس التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، بيروت ، دار صادر ، طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر ، ١٣٠٣ هـ ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(٢) نبيل عبدالحي رضوان : القوة العثمانية من البر إلى البحر ، ص ٧٢ .

(٣) هوبر فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٩٠ .

- Paul Coles : The Ottoman Empact on Europe. Thames and Hudson. London, 1968, P. 92.

(٤) رمضان : الرسالة الفتحية الرادوسية ، مخطوط ، ورقة ١٦٩ ب .

(٥) تصنيف على أميرى : قانوني ، نومرو ١٣٦ ، وثيقة محفوظة بأرشيف مجلس الوزراء باسطنبول .

وألف السلطان مجلساً للنظر في شئون المدينة وما تحتاج إليه من الإصلاح وترميم ما تهدم من الحصون ، وأمر بانشاء رباط للفقراء ، وتشييد مآذن في جميع الكنائس بعد أن حولها إلى جوامع[١] .

كما بنى العثمانيون مسجداً ونسبوه إلى السلطان سليمان تخليداً لذكرى انتزاعهم المدينة في عام ٩٢٩ هـ ، وما زال المسجد قائماً ويستخدم للصلاة حتى هذا اليوم وقد رمم في سنة ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م[٢] .

وظلت جزيرة رودس جزءاً من أملاك الدولة العثمانية منذ تاريخ فتحها حتى الحرب العالمية الأولى[٣] عندما استعمرتها ايطاليا ١٣٣١ هـ / ١٩١٢ م ، ثم أعيدت إلى اليونانيين في عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، وفي هذه الفترة من الحكم الايطالى خضعت جزيرة رودس لفترة قصيرة للحماية البريطانية ، وذلك في نهاية الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من حكم الأتراك العثمانيين لرودس إلاّ أنهم لم يهيمنوا عليها هيمنة كاملة ، وذلك لقلة عددهم مما جعلهم أقلية دائماً ، لذلك لم يكن من الصعب أن يقوم اليونانيون بانشاء أحياء جديدة خاصة بهم ، وأن يتحكموا في التجارة بالمدينة ، وأن تستمر هيمنتهم على التجارة لانتعاش الاقتصاد اليوناني برودس[٤] .

والحق أقول أن الدولة العثمانية في عصرها الأول كانت لا ترفض سيطرة اليونان على التجارة ، لأنها فتحت بلادها أمام التجارة ووقعت مع أوربا المعاهدات التجارية ، لأن ذلك يعود بالنفع والازدهار الاقتصادي على الفرد

---

(١) حبيب غزاله بك : جزيرة رودس ، ص ٣٦ .

، محمد كمال الدسوقي : العثمانيون وقراصنة رودس ، ص ١٩٢ .

(٢) ماجى بيمونت : أثر لماض بعيد ، مجلة أهلاً وسهلاً ، العدد ١٨ ، ص ٢٤ .

(٣) محمد كمال الدسوقي : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) ماجى بيمونت : أثر حى لماض بعيد ، مجلة أهلاً وسهلاً ، العدد ١٨ ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ .

العثماني قبل الدولة ، لذلك كانت الدولة ترعى ذلك وتريد أن تنتعش تجارة ولاياتها مع ترك الحرية لشعبها في مختلف الأديان ، مع استطاعتها إذا رأت خطراً يهدد مصالحها أن تمنعه بالقوة وتعيد الأمور إلى نصابها من جديد ، لامتلاكها القوة الرّادعة براً وبحراً .

ولكن في عصرها الثاني أي نهاية عصر السلطان سليمان الأول (القانوني) بدأت تتراخى قبضت الدولة الحديدية عما كانت عليه من قبل حتى بلغ الخلل نظام الدولة من الجندى المحارب إلى السلطان الذي يدير السلطنة، وتعدى ذلك إلى إهمال تطوير آلياتها الحربية مع ما يتناسب وعظمتها ومكانتها الدولية في ذلك العصر، وعدم مجاراتها للغرب حتى أصبحت غير قادرة على ضبط ممالكها الإسلامية داخل اسطنبول فما بالك خارجها في آسيا وأوربا وأفريقيا في الوقت التي كانت فيه مهابة الجانب من الدول الأوربية، بل كانت تتودد لها لتكسبها وتطلب محالفتها ومساعدتها ومساندتها في قضايا مصيرية حربية بين دول أوربا نفسها. وكان سبب ذلك هو تطبيقها للشريعة الإسلامية في كل معاملاتها وفي كل أمور الدولة، ولكنها لمّا تهاونت في تطبيق الشريعة الإسلامية وسعت في تطبيق الدساتير الوضعية أصابها الخلل والوهن كما نعلم .

المصادر والمراجع

أولاً : الأرشيف العثماني في اسطنبول :

OSMANLIA ARSIVI ISTANBUL

الوثائـــق :

١ ـ تصنيف على اميرى : قانوني ، نو مروا ١٣٦ ، وثيقة محفوظة بأرشيف مجلس الوزراء باسطنبول .

ثانياً : المخطوطات العربية :

٢ ـ البكرى : محمد ابن أبى السرور : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط ، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٢٣، وتوجد منه نسخة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٣ ـ المقدسي : مرعى بن يوسف: قلايد العقيان في فضايل آل عثمان، مخطوط، محفوظ، بالمكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ١٦٢٤، وتوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٤ ـ رمضان : طبيب السلطان سليمان : الرسالة الفتحية الرادوسية، مخطوط، محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٦٢٢ ، وتوجد منه نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ثالثاً : المصادر العربية :

٥ ـ ابن اياس : محمد بن أحمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٦ ـ ابن طولون : شمس الدين محمد : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، حققه محمد مصطفى ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

٧ ـ البقاعي : إبراهيم بن عمر : اظهار العصر لأسرار أهل العصر ، دراسة وتحقيق ، محمد سالم شديد العوفى ، الطبعة الأولى ، الناشر عربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٨ ـ البلاذري : الإمام أبى الحسن : فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية .

٩ ـ التونسى : محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، بيروت، دار صادر ، طبع بالمطبعة الإعلامية بمصر، ١٣٠٣ هـ .

١٠ ـ الرمال : ابن زنبل أحمد : آخرة المماليك ، واقعة السلطان الغورى مع السلطان سليم العثماني ، تحقيق عبدالمنعم عامر .

١١ ـ آصاف : يوسف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسّام عبدالوهاب الحابي ، الطبعة الثالثة ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٢ ـ القرماني : أحمد تشلبي : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسّام عبدالوهاب الحابي ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٣ ـ القلقشندي : أبو العباس أحمد علي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، الطبعة الأميرية ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٣٨٣هـ .

١٤ ـ النهروالى : الشيخ قطب الدين : الأعلام بإعلام بيت الله الحرام ، طبع هذا الكتاب في مدينة غتنقة ، بمطبعة المدرسة المحروسة ، ١٢٧٥ هـ .

١٥ ـ بك : حبيب غزاله : جزيرة رودس جغرافيتها وتاريخها وآثارها ، مصر ، مطبعة الاعتماد .

١٦ ـ بك : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفايس ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

١٧ ـ حليم : إبراهيم بك : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م .

١٨ ـ دحلان : أحمد زينى : الفتوحات الإسلامية ، القاهرة ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م .

١٩ ـ سرهنك : إسماعيل : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الطبعة الأولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٢ هـ .

٢٠ ـ لبيب : حسين : تاريخ الأتراك العثمانيين ، القاهرة ، مطبعة الواعظ ، مصر ، ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م .

ثالثاً : المراجع العربية :

٢١ ـ الاسكندرى : عمرو سليم : تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر ، راجعه الكبتن أ ، ج سفدج ، القاهرة ، الناشر مكتبة متبولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٢٢ ـ أبو غنيمة : زياد : السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، الطبعة الثانية، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

٢٣ ـ أبو غنيمة : زياد : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين والأتراك ، الطبعة الثانية ، عمار دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٢٤ ـ البقلي : محمد قنديل : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م .

٢٥ ـ الدسوقى : محمد كمال : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ م .

٢٦ ـ إسماعيل : عبدالجواد صابر : ولاية خاير بك على مصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٢٧ ـ اشنهو : عبدالحميد ابن زيان : دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، الجزائر ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٢٨ ـ الشناوى : عبدالعزيز محمد : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٢٩ ـ حرب : محمد : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

٣٠ ـ حسون : على : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٣١ ـ الحموي : محمد ياسين : تاريخ الاسطول العربي صفحة مجيدة من صفحات العرب ، دمشق ، مطبعة الترقي .

٣٢ ـ رضوان : نبيل عبدالحي : جهود العثمانيين لانقاذ الأندلس ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

٣٣ ـ رضوان : نبيل عبدالحي : القوة العثمانية بين البر والبحر، الطبعة الأولى، مكة المكرمة ، دار الثقافة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

٣٤ ـ الرافعي : عبدالرحمن ، وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠م .

٣٥ ـ سليمان : أحمد سعيد : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، القاهرة ، الناشر دار المعارف ، ١٩٧٢ م .

٣٦ ـ شاكر : محمود : التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ .

٣٧ ـ صفوت : محمد مصطفى : فتح القسطنطينية ، الرياض ، منشورات الفاخرية .

٣٨ ـ غربال : محمد شفيق : منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم ، القاهرة، جامعة الدول العربية ، ١٩٦١ م .

٣٩ ـ متولى : أحمد فؤاد : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ م .

٤٠ ـ مصطفى : أحمد عبدالرحيم : في أصول التاريخ العثماني ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

رابعاً : المصادر الأجنبية المترجمة :

٤١ ـ اوزتونا : يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة الفيصل للتمويل ، ١٩٨٨ م .

٤٢ ـ جودت باشا : أحمد : تاريخ جودت ، ترجمة عبدالقادر أفندى الدنا ، بيروت ، طبع مطبعة جريدة بيروت ، ١٣٠٨ هـ .

خامساً : المراجع الأجنبية المترجمة :

٤٣ ـ بروكلمان : كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار الملايين ، ١٩٧٤ م .

٤٤ ـ فيشر : هوبرت : أصول التاريخ الأوربى الحديث ، نقله إلى العربية زينب عصمت راشد وأحمد عبدالرحيم مصطفى، راجعه أحمد عزت عبدالكريم، الطبعة الثالثة ، مصر ، الناشر دار المعارف ، ١٩٦١ م .

٤٥ ـ كلو : اندرى : سليمان القانوني مثل من النماذج بين الهوية والحداثة ، تعريب البشير سلامة ، بيروت ، دار الجيل .

٤٦ ـ لويس : برنارد : استنبول ، تعريب سيد رضوان ، الطبعة الثانية ، جده ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

سادساً : المصادر التركية باللغة العثمانية :

٤٧ ـ أفندى : بجوى إبراهيم : تاريخ بجوى ، اسطنبول ، طبعت عن طريق أوفست عن الطباعة القديمة ، الناشر مكتبة اندرون .

٤٨ ـ باشا : كامل : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، مطبعة أحمد احان ، ١٣٢٧ هـ .

٤٩ ـ رشيد : أحمد : خريطة لى ورسملى مكمل تاريخ عثمانى ، استانبول ، كتاب خانه تفيض ، ١٣٢٧ هـ .

سابعاً : المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية :

٥٠ ـ Aantony Bridge : Suleiman the Magnificent Scourge of Heaven, Granada - London.

٥١ـ - A. J. Grant : A History of Europe From 1494 to 1610 Methuen and Coltd London.

٥٢ـ - Paul Coles: The Ottoman Empact on Europe, Thames and Hudson. 1968.

٥٣ـ - Stanford Show, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge University, Press, 1976.

٥٤ـ - L. S. Stavrianos, The Balkans Since 1453, Holt, Rine hart and Winston, London.

٥٥ـ - V. J. Parry : A History the Ottoman Empire, Cambridge University Press Camrge London New York. Melbourne.

ثامناً : الدوريات والمجلات العلمية :

٥٦ ـ الدسوقي : محمد كمال : العثمانيون وقراصنة رودس ، مجلة البحث العلمي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، العدد الثاني ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٥٧ ـ بيمونت : ماجي : رودس أثر لماض بعيد ، مجلة أهلاً وسهلاً ، السعودية ، السنة ١٨ ، العدد ١٢ جمادى الآخر ورجب ١٤١٥ هـ ديسمبر ١٩٩٤ م.

٥٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية : نقلها إلى العربية ، محمد ثابت الفندى وآخرون .

الملاحـــــق

ملحق رقم (أ)

نقلا عن : اندري كلو : لسيمان القانونى ، ص ٨٤، حاشية (١٣)

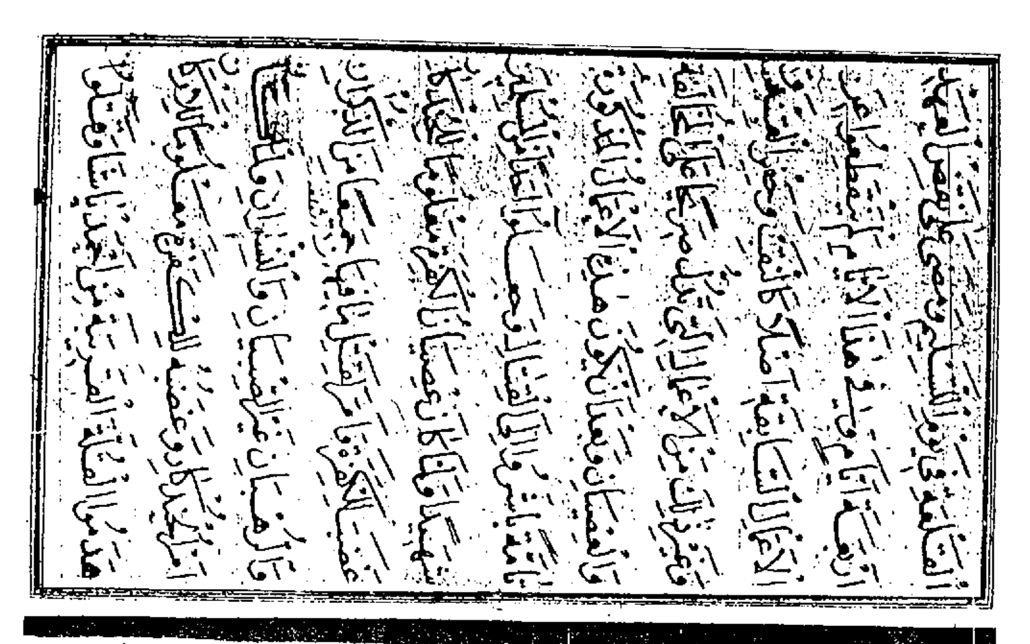
(13) فيما يلي نص الرسالة حسب باتار دي بوربون وأنه بأمر منا نحيطكم علماً أنه قررنا أن نتسلم هذه الجزيرة لما ينالنا من الضرر والأعمال المشينة في كل يوم. وإذا سلمتم عن طواعية هذه القلعة الى جلالتنا فإننا نقسم بالله خالق الارض والسماء ومرسل الست وعشرين الف نبي ومنزل الاربعة اسفار يعني كتب اهل الكتاب وهم النصارى واليهود والمسلمون والزراد شتيون هذه اضافة مؤلف الكتاب ونقسم بنبينا محمد ان كل من على هذه الجزيرة صغاراً وكباراً لا يمسهم لا خوف ولا أذى ولا ضرر من قبل جلالتنا. واذا انتم اصررتم على عدم الاستلام فاننا نقلب عليكم القلعة رأساً على عقب ونعذبكم ونقتلكم شر قتلة. كما فعلنا مع كثيرين وكونوا على يقين من ذلك ».

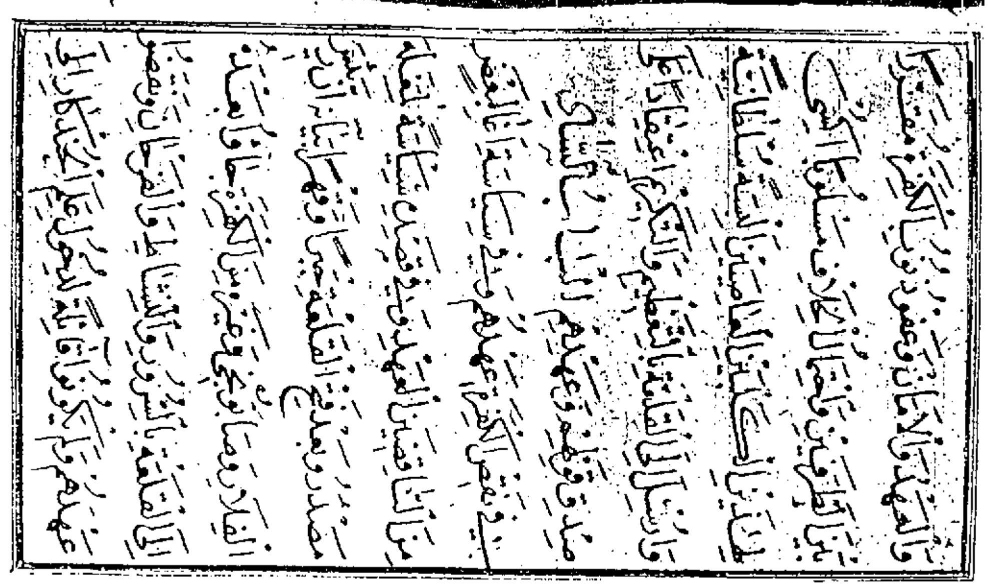
ملحق رقم (٢)

لوحات من مخطوط : الرسالة الفتحية الرادوسية من [١٥٨ ـ ١٦٠]

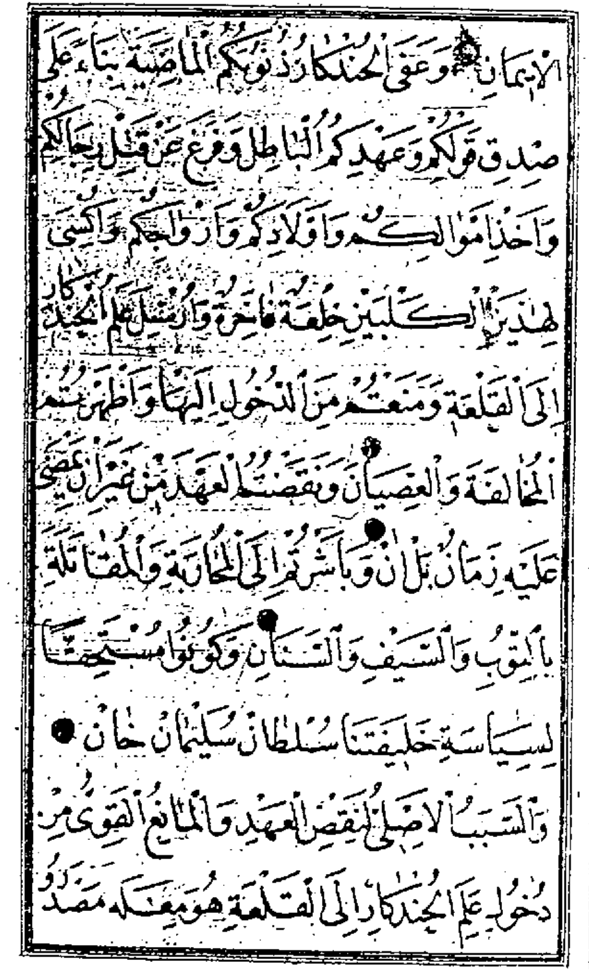
يظهر فيها طلب صلح الفرسان وموافقة السلطان ثم نقضهم

ثم الخطاب الذي أرسل إلى رئيسهم بذلك من أغا باشا



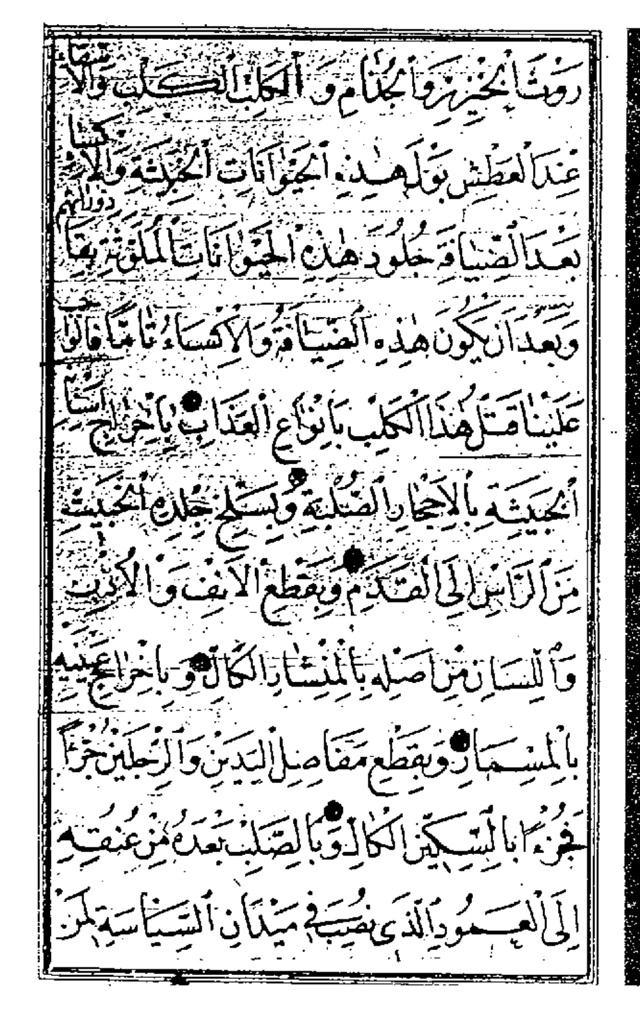


جميع ما كان فيها من الكفرة غير الاثنين لان اعا
طلبتهما من احمد باشا وقطع انفهما واذناهما
ويداهما وعلق هذه المقطوعات الى عنق
هذين الكلبين مع مكتوب السياسة وارسلها
بهذه الحالات القبيحة الى القلعة ليكونا انموذجا
للكفرة وقال في هذا المكتوب يا ايها العدوان و
الطغيان والرهبان ● ويا معلم الخناس والوسواس
والشيطان ● انتم طلبتم الامن والامان ● من
سلطاننا سلطان سليمان خان ● وسلمتم القلعة
مع الازواج والصبيان (الاولاد) ● واظهرتم التبعية الى
الخنكار بحيث لا يصدر هذه التبعية الا من اهل



الايمان ● وعفى الخنكار ذنوبكم الماضية بناء على
صدق قولكم وعهدكم الباطل وفرغ عن قتل رجالكم
واخذ اموالكم واولادكم وازواجكم واكتفى
لهذين الكلبين خلعة فاخرة وارسل علم الخنكار
الى القلعة ومنعتم من النزول اليها واظهرتم
المخالفة والعصيان ● ونقضتم العهد من غير ان يمضي
عليه زمان بل وباشرتم الى المحاربة والمقاتلة
بالتوب والسيف والسنان ● وكونوا مستحقا
لسياسة خليفتنا سلطان سليمان خان ●
والسبب الاصلي لنقض العهد والمانع القوي من
دخول علم الخنكار الى القلعة هو معلمه مصدر

لا غير بلا شك لانه رئيس والباقي مرؤس تابع له و
عامل بامره ولما كان السبب الاصلي والمانع القوي
هو هذا الكلب لا غير قصدنا ضيافة وخلعة
وسياسة له وكتب هذه الثلثة في مكتوب السياسة
على الترتيب و قال يا رئيس اعداء الدين ويا رئيس الناقضين
للعهد ويا رئيس المانعين من دخول علم الجند كار
الى القلعة ان لنا لكم بعد فتح القلعة ان شاء الله
تعالى جبرا وقهرا بالغلبة عليكم لا بالحيلة والمكر
ضيافة وخلعة وسياسة لم يفعلها ولم يسمعها
احد من الانس والجن الى يومنا هذا ولم يكتب في
كتب التواريخ مثلها ايضا كالاطعام عند الجوع


روث الخنزير والحمام والكلب الكلب والا
عند العطش بول هذه الحيوانات الخبيثة والاكساء
بعد الضيافة جلود هذه الحيوانات الملوثة بها
وبعد ان يكون هذه الضيافة والاكساء تاما فال[illegible]
علينا قتل هذا الكلب بانواع العذاب باخراج اسنانه
الخبيثة بالاحجار الصلبة وبسلخ جلده الخبيث
من الراس الى القدم وبقطع الانف والاذن
واللسان من اصله بالمنشار الكال وباخراج عينيه
بالمسمار وبقطع مفاصل اليدين والرجلين جزءا
جزءا بالسكين الكال وبالصلب بعده من عنقه
الى العمود الذي نصب في ميدان السياسة لمن

ملحق رقم (٣)

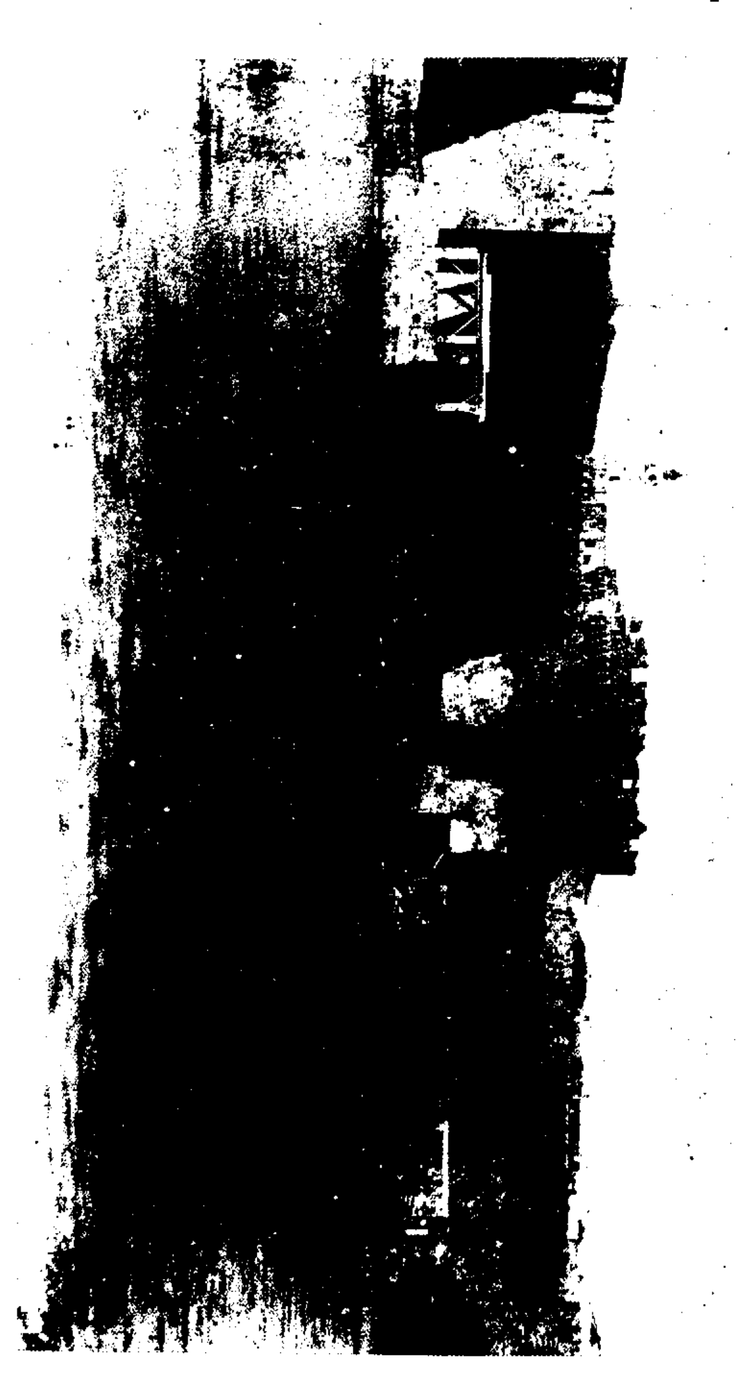
أحد قلاع وأسوار جزيرة رودس ويظهر فيها الثقوب للرمي منها
من مكتبة جامعة استانبول رقم ٢/٤٠٨٠٢



ملحق رقم (٤)

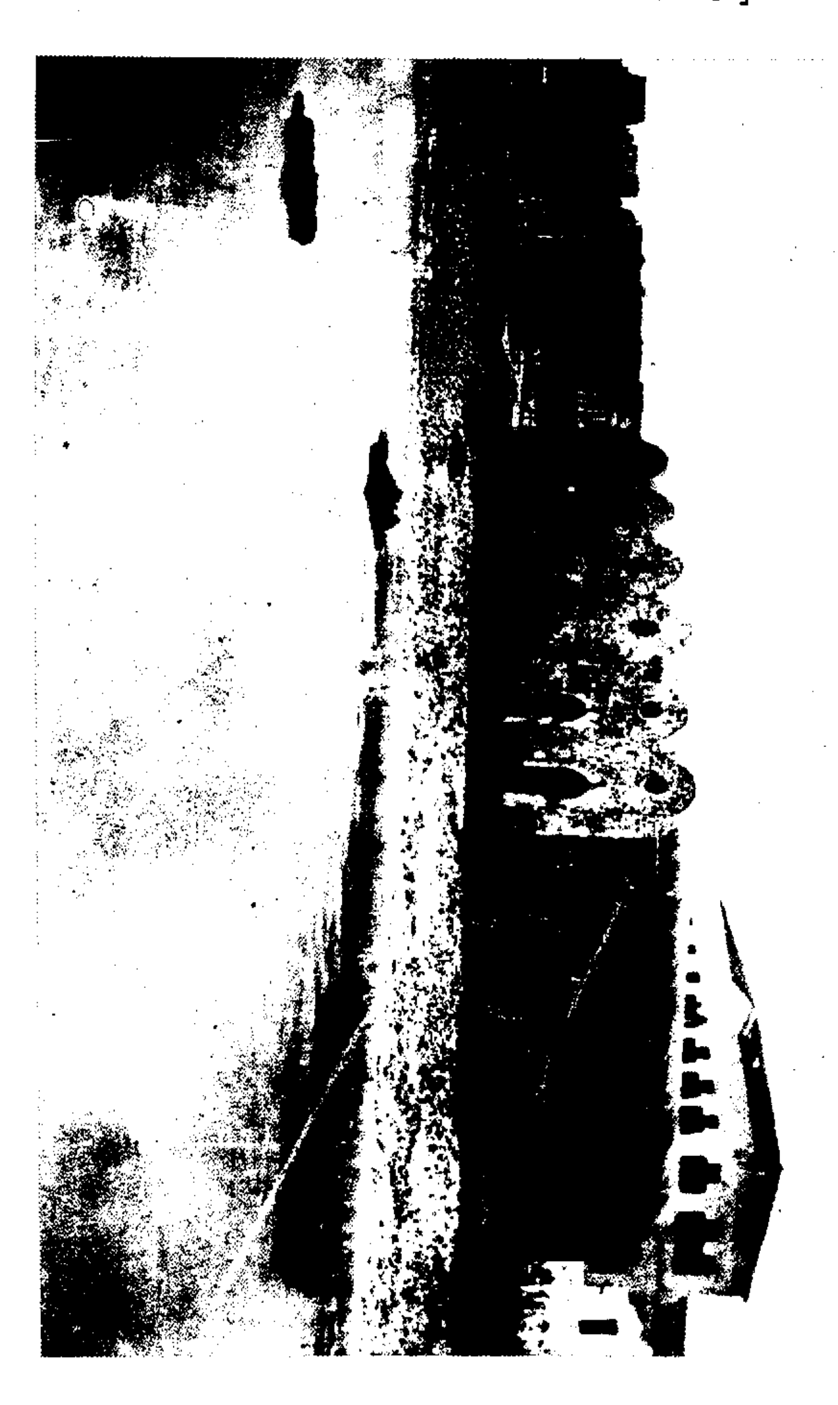
صورة رودس ويبدو فيها أحد مآذن المساجد التي بنيت بعد الفتح

[من مكتبة جامعة استانبول رقم ٩٠٨٠٥/٨]



ملحق رقم (٥)

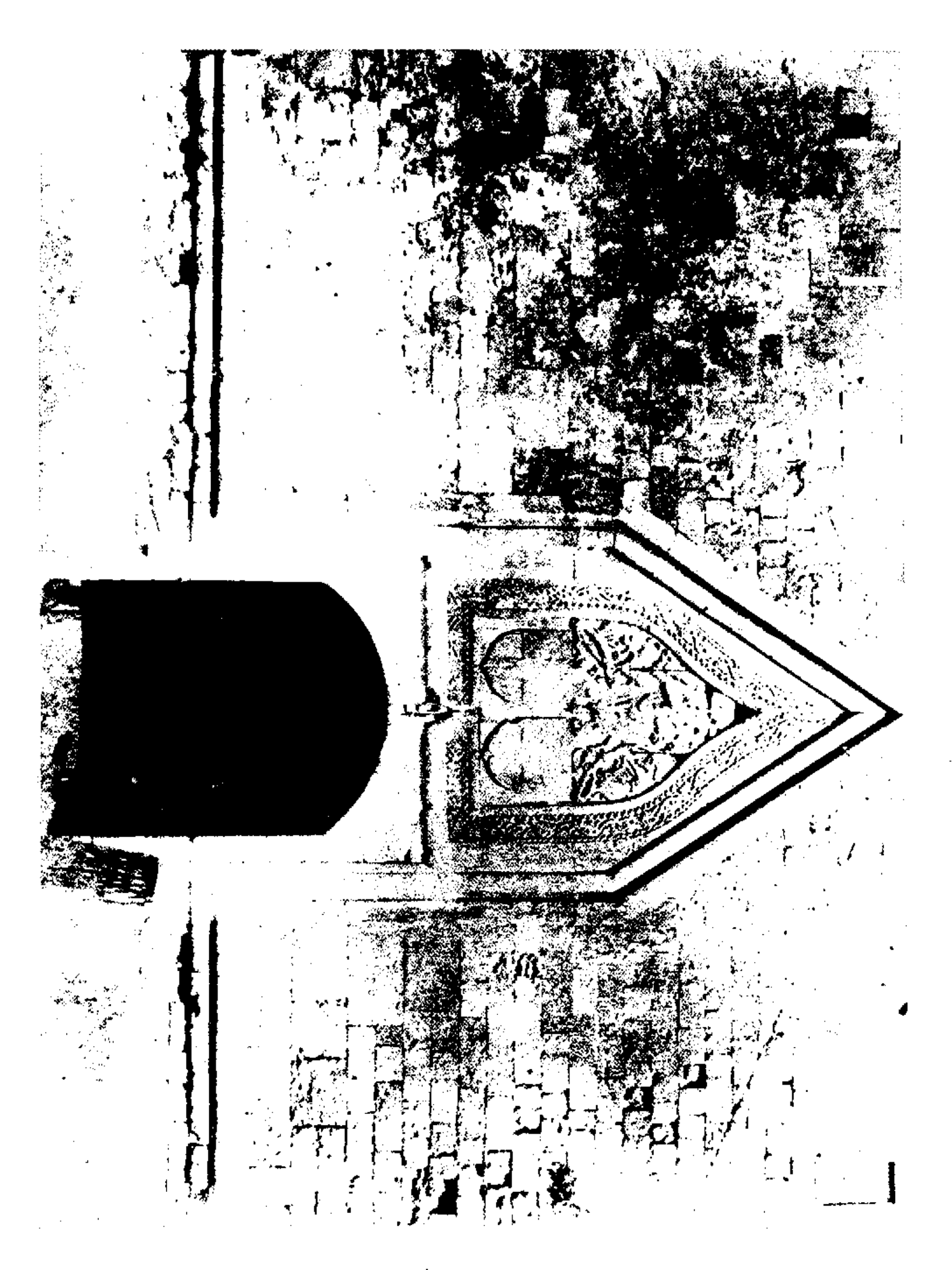
المستشفى العسكرى ومخازن الذخائر العسكرية
[من مكتبة جامعة استانبول رقم ٩٠٨٠٤/١٤]



ملحق رقم (٦)

الباب الأحمر برودس

[من مكتبة جامعة استانبول رقم الصورة ١٩/٩٠٨٠٦]



ملحق رقم (٧)

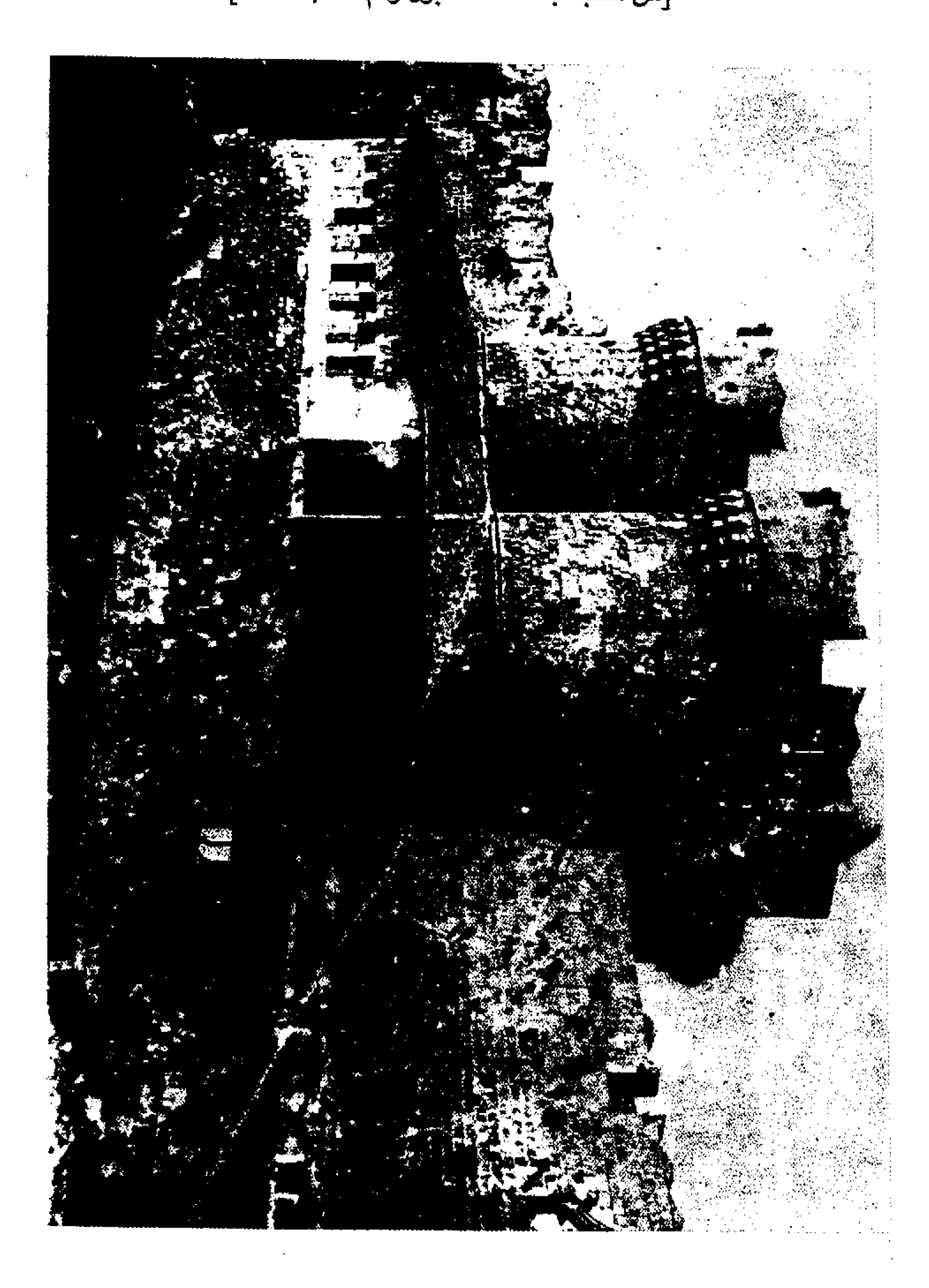
صورة أحد أبراج قلعة رودس

[من مكتبة جامعة استانبول رقم ٩٠٨٠٦/٢٣]



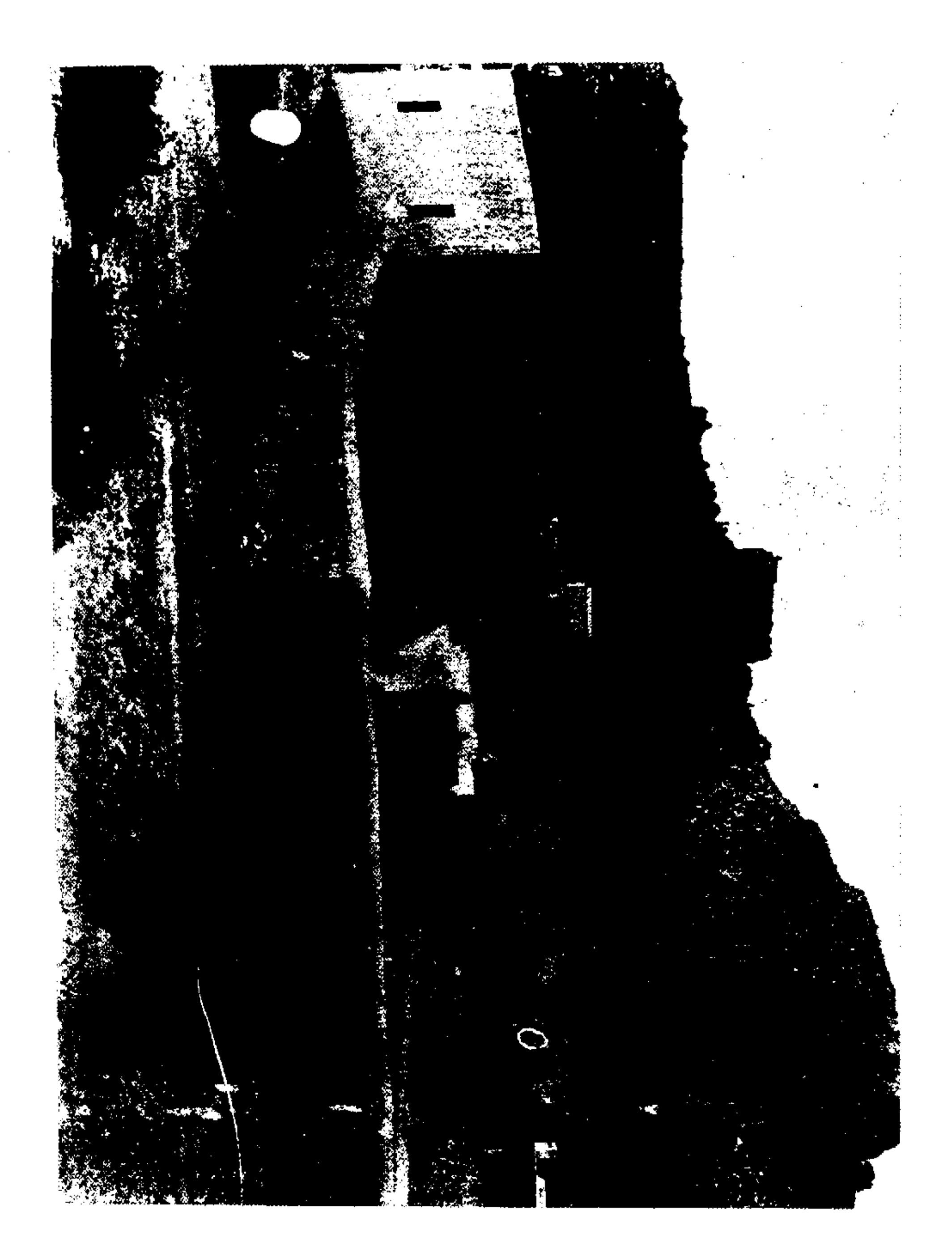
ملحق رقم (٨)

الباب القديم لمدينة رودس، ويظهر فيه كثرة البروج والثقوب
[من مكتبة جامعة استانبول رقم ٩٠٨٠٣/٣٠]



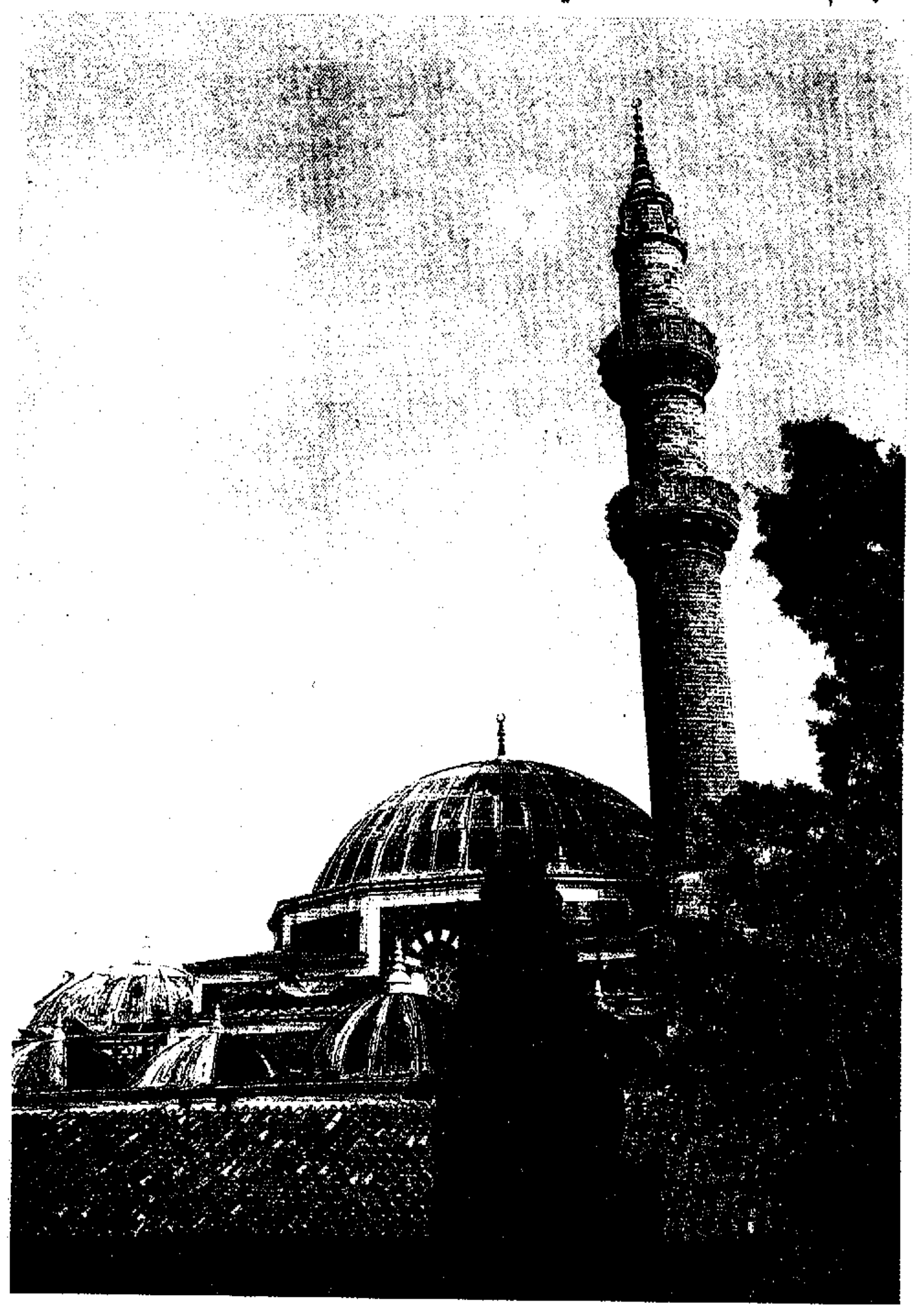
ملحق رقم (٩)

في هذه الصورة إحدى القلاع الواقعة في إحدى قرى رودس لحماية الجزيرة
[من مكتبة جامعة استانبول رقم ٩٠٨٠٤/٢٩]



ملحق رقم (١٠)

بنى العثمانيين هذا المسجد في عام ٩٢٩ هـ / ١٥٢٢م تخليداً لدخولهم جزيرة رودس باسم السلطان سليمان القانوني . نقلاً عن : مجلة أهلاً وسهلاً السنة ١٨، العدد ١٢،



فهرس الموضوعات